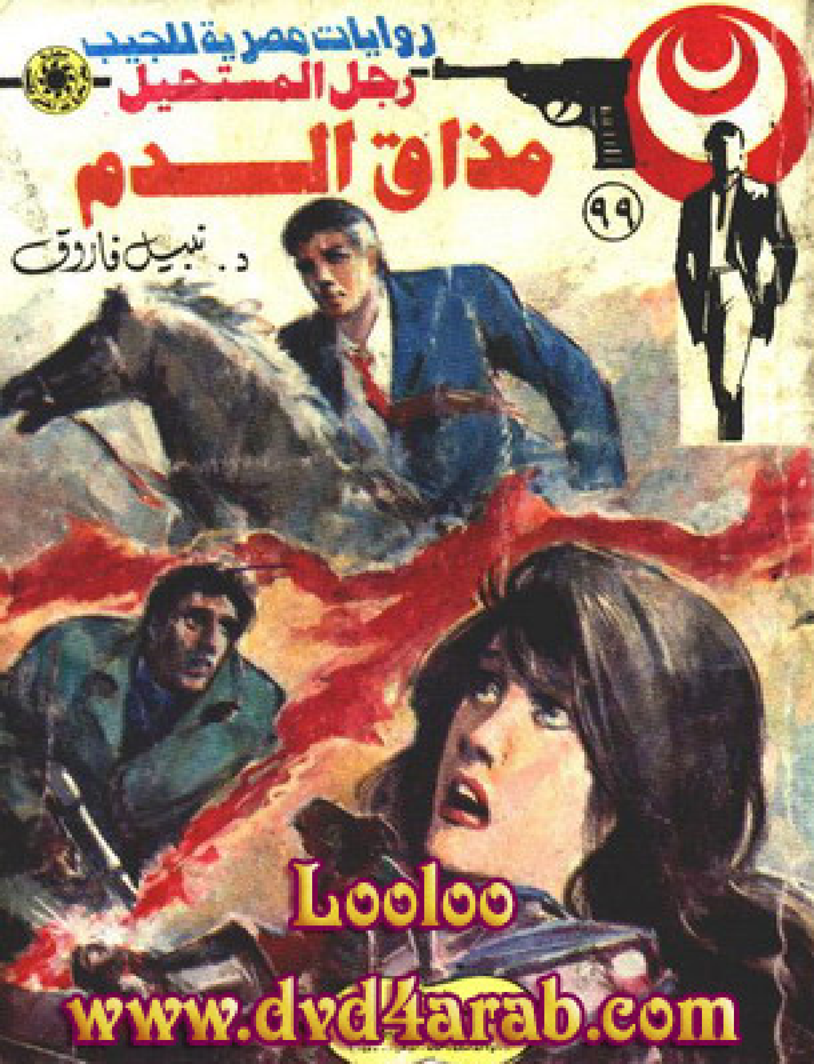


روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
مذاق الدم
٩٩
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن ـ ١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيَّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكُّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدِّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ ـ القادم الجديد ..

تجمعت السحب على نحو غير مألوف، فى سماء (تل أبيب)، فى ذلك اليوم، ومط رجل المخابرات الإسرائيلى (ليو دايان) شفتيه فى امتعاض، وهو يغمغم لنفسه :

ـ كم أكره مثل هذا الطقس .

قالها وتناساها بعد لحظة واحدة، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا، ويدور فى شقته الصغيرة بخفة ومرح، ثم لم يلبث أن توقَّف أمام مكتبه، والتقط مظروفًا منتفخًا، تحسَّسه فى سعادة، ثم فتحه، وراح يتأمَّل رزم الدولارات الأمريكية الخضراء داخله، قبل أن يغمغم فى هيام، وكأنه يهمس فى أذن معشوقته :

ـ المال .. ما أحلى المال .. إنه الإكسير السحرى، الذى يمنحك كل متع الدنيا، وكل الـ ...

قطع حديثه لنفسه رنين مفاجئ لجرس الباب، فعقد حاجبيه، وتطلع إلى ساعته، متمتمًا :

ـ إنها السادسة والنصف صباحًا .. من ذلك الوقح ، الذى يأتى لزيارتى ، فى مثل هذه الساعة المبكرة .

زفر فى سخط ، ووضع المظروف فى درج مكتبه بعناية ، ثم اتجه إلى الباب ، وانحنى يتطلّع عبر العين السحرية فى منتصفه إلى القادم ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى ارتدّ فى عنف ، كمن صعقه تيار كهربى ، وهتف فى دهشة عارمة :

ـ (موشى) .

وعلى الرغم من انفعاله ، فتح الباب بسرعة ، وحاول أن يرسم على شفتيه ابتسامة ما ، وهو يقول :

ـ ويا عزيزى (موشى دزرانيلى) .. أى رياح طيبة ألقت بك إلىّ ، فى مثل هذا الصباح الجميل ؟

بدا وجه (موشى حاييم دزرانيلى) باردًا جامدًا كعادته ، وهو يقول :

ـ كيف حالك يا (ليو) ؟

أفسح له (ليو) الطريق ، وكأنه يدعوه للدخول ، وهو يقول :

ـ فى خير حال .. تسعدنى رؤيتك كثيرًا .. ولكن .

ومع كلمته الأخيرة ، كان (موشى) قد دلف بسرعة إلى المنزل ، وأغلق الباب خلفه ، ثم التفت إليه ، فى برود :

ـ ولكن ماذا ؟

ارتبك (ليو) لحظة ، ثم ضحك فى عصبية ، وقال :

ـ أعنى أن الوقت مبكّر للغاية .

شدّ (موشى) قامته ، وهو يقول :

ـ فليكن .. لن نضيع الوقت .

ولم يكد يتمّها ، حتى كانت قبضته تهوى على فك (ليو) كالقنبلة ، وتلقى به مترين إلى الخلف ، فارتطم بقطع الأثاث ، وسقط معها أرضًا فى عنف ، قبل أن يهتف مذعورًا ذاهلًا :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

قطع (موشى) المترين بقفزة واحدة ، وجذبه من شعره فى قسوة ، وهو يخرج من جيبه قرصًا صغيرًا ، ويضعه أمام عينى (ليو) مباشرة ، قائلًا :

ـ هل تعرف هذا ؟

اتسعت عينا (ليو) فى هلع واضح ، كشف أمره تمامًا على الرغم من تراجعه التالى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟

لكمه (موشى) فى معدته بقوة رهيبة ، وهو يقول :

ـ إنه جهاز التصنت الأنيق ، الذى وضعته فى حجرة العدير يا صديقى .

صرخ (ليو) من فرط الألم ، وراح يلهث فى قوة ، وهو يمسك معدته فى توجّع ، صائحًا :

ـ أى جهاز ؟.. لا شأن لى مطلقًا بـ ..

قاطعه (موشى) فى صرامة :

ـ لا فائدة من الإنكار .. لقد فحصنا البصمات ، وعرفنا أنك صاحبه .

هتف (ليو) :

ـ هذا ليس دليلًا .. من الممكن أن ..

أخرسته لكمة ساحقة من قبضة (موشى) ، حطمت اثنتين من أسنانه الأمامية ، وقطعت شفته السفلى ، وألقته أرضًا فى عنف ، وعندما حاول النهوض ، أصابته ركلة قوية فى أنفه ، فامتزجت دماؤه بالدماء النازفة من الشفة المقطوعة ، وصاح (ليو) فى عصبية شديدة :

ـ أتظننى غير قادر على القتال ؟

نطق العبارة ، وهو يقفز ليلكم (موشى) ، ولكن هذا الأخير تفادى الضربة فى رشاقة مدهشة ، وهوى على معدة (ليو) بلكمة ثانية ، وثالثة ، ثم حطم واحدة أخرى من أسنانه بلكمة كالصاعقة ، وانقضّ عليه قبل سقوطه ، وجذبه من شعره فى قسوة رهيبة ، وهو ينتزع مسدسه ، ويلصقه بصدغه ، قائلًا :

ـ هيا يا رجل .. إننى لست رجل شرطة أو قاضيًا ، ولا تهمنى الأدلة والقرائن والبراهين .. إننى هنا لأعرض عليك صفقة واحدة .. إما أن تعترف بكل ما لديك ، وتخبرنى بكل ما أرغب فى معرفته ، أو أقتلك بلا رحمة ، كما لو كنت كلبًا أجرب .. ولن أمنحك العمر كله لتقرّر .. أمامك فقط نصف دقيقة من الآن .

وجذب إبرة المسدس بصوت مسموع ، ارتجف له جسد (ليو دايان) كله ..

كان يعرف (موشى حاييم دزرائيلى) جيدًا ..

ويعلم أنه لا يمزح ..

ولا يخدع ..

إنه يعنى بالفعل كل حرف نطق به ..

ولن يتورّع (موشى) أبدًا عن قتله ، والتمثيل بجثته لو لزم الأمر ، دون أن يطرف له رمش ..

ولكن الاعتراف يعنى أيضًا الكثير ..

يعنى أن (ليو) سيصم نفسه بالخيانة ..

والموت هو أيضًا عقاب من يفعل ذلك ..

وفى ضراعة ومرارة وانهيار ، تمتم (ليو) :

ـ (موشى) يا صديقى .. أرجوك ..

قاطعه (موشى) بصفعة قوية ، ثم مال بمسدسه ، وألصقه بفخذ (ليو) ، وضغط الزناد ..

وكان الألم رهيبًا ..

لقد اخترقت الرصاصة فخذ (ليو) ، ونفذت من جانبه الآخر ، بعد أن حطمت عظمة الفخذ ، فصرخ (ليو) فى انهيار :

ـ لا .. لاتفعل .. أرجوك .

أعاد (موشى) المسدس بسرعة إلى صدغ (ليو) ، وهو يقول فى صرامة باردة :

ـ بقيت عشرون ثانية فقط .

سالت الدموع من عينى (ليو) ، من فرط آلامه الرهيبة ، وعذاب نفسه الشديد ، وتمتم بصوت تتفطر له القلوب :

ـ أتوسّل إليك يا (موشى) .. أريد سيارة إسعاف .. أريد الـ..

أدار (موشى) مسدسه مرة أخرى ، وأطلق منه رصاصة هشمت ركبة (ليو) ، الذى أطلق صرخة مفزعة ، فى حين بدا (موشى) هادئًا باردًا ، وكأنما لم يفعل شيئًا ، وهو يقول :

ـ عشر ثوان فحسب .

صرخ (ليو) :

ـ ما الذى تريد معرفته ؟

سأله (موشى) فى برود :

ـ لحساب من تعمل .

أجابه (ليو) فى ألم رهيب :

ـ إنها منظمة جديدة ، تحمل اسم (سناك) .. أنا مخطئ لأننى تعاونت معهم ، ولكن ..

قاطعه (موشى) :

ـ ومن يدير هذه المنظمة ؟.. المصريون أم السوفييت ، أم الأمريكيون ؟

هتف (ليو) :

ـ بل هى منظمة خاصة .

عقد (موشى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ منظمة جاسوسية خاصة ؟!.. ومن يرأسها ؟

انهار (ليو) مع آلامه المفرطة ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. لقد حضر إلىّ رجل أمريكى الجنسية ، من أصل فرنسى أو إيطالى ، اسمه (تونى بورسالينو) ، وقال : إن (سونيا) طلبت منه الاتصال بى .

سأله (موشى) :

ـ (سونيا) من ؟

أجاب (ليو)، وصوته يخفت تدريجيًا، وكأنه يوشك على فقدان الوعى :

ـ (سونيا جراهام) .. زميلتنا السابقة .. هى التى طلبت منه هذا، و ...

قطع عبارته ليصرخ فجأة :

ـ (موشى) .. إننى أموت .. أنقذنى يا صديقى .. تذكر الأيام الخوالى .. تذكر أعمالنا معًا، وصداقتنا، و ...

ولكن (موشى) لكمه فى أنفه فى قوة، وهو يقول فى قسوة !

ـ لا تضيع الوقت .. أبلغنى كل ما لديك .

هتف (ليو) :

ـ هذا كل ما لدى يا (موشى) .. أقسم لك .. لقد أغرانى المبلغ الضخم، وكانت (سونيا) تملك بعض ما يديننى، ولم يكن أمامى سوى أن أفعل ما فعلت .. أنقذنـــى يا صديقى .. أرجوك .. خفف عنى هذه الآلام الرهيبة .

صمت (موشى) لحظة، سأله فى برود :

ـ أهذا حقًا كل ما تعرفه ؟

هتف (ليو) فى انهيار :

ـ بالتأكيد يا (موشى) .. أقسم لك على هذا بروح آبائى وأجدادى، ولكن خفف عنى هذه الآلام المبرحة .. أرجوك .

بدت على شفتى (موشى) ابتسامة مخيفة، وهو يقول :

ـ بالطبع يا صديقى القديم .. سأخفف آلامك الرهيبة على الفور، وبدواء لا يفشل قط .

فهم (ليو) ما يعنيه (موشى)، فصرخ :

ـ لا .. لا يا (موشى) .

ولكن (موشى) ضغط زناد مسدسه فى هدوء ..

وانفجرت رأس (ليو) كمصباح قديم ..

وفى هدوء عجيب، أعاد (موشى) مسدسه إلى جيبه، وعدّل رباط عنقه، وهو يقول :

ـ إنه خطؤك يا صديقى .. لماذا جعلت جدران منزلك عازلة للصوت .

وبنفس الهدوء المدهش، وبدقة متناهية، فتّش (موشى) كل شبر من منزل (ليو)، قبل أن يغادره فى بساطة، عائدًا إلى إدارة المخابرات الإسرائيلية، دون أن يدرك أن تلك المنظمة، التى كشف وجودها منذ دقائق، ستقوده إلى قتال تقليدى عنيف ورهيب، مع أعنف وأقوى خصومه، فى التاريخ كله ..

مع (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

كانت البداية عندما أسند مدير المخابرات العامة المصرية إلى (أدهم صبرى)، و (منى توفيق) و (حسام حمدى) مهمة كشف وتدمير منظمة التجسس الجديدة، التى ظهرت فى العالم، تحت اسم (سناك)، دون أن يدرى أحدهم أن الزعيمة الخفية لتلك المنظمة الجديدة هى أفعى (الموساد) السابقة (سونيا جراهام)، التى فرّت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحملت اسم (جوان آرثر)، صاحبة شركة الإليكترونيات الكبرى فى (نيويورك) ..

وكإجراء مدروس، انطلق كل من أفراد الفريق الجديد إلى هدف محدود ..

(منى) انطلقت إلى (إيطاليا) ..

و (حسام) إلى (أمريكا) ..

و (أدهم) إلى (انجلترا) ..

وفى الوقت ذاته، كانت (سونيا جراهام) تعد خطة رهيبة، لإعلان قيام منظمتها الجديدة، تعتمد على سرقة خمسة رءوس نووية من (الاتحاد السوفيتى) السابق، ووضعها فى أكبر خمس عواصم فى العالم، كوسيلة للسيطرة على الحكومات، وتهديدها بالفناء، لو خالفت أوامرها ..

وسافرت (منى) إلى (إيطاليا)، ولكنها تعرّضت لمخاطر شتى، ومحاولة قتل، ورّطتها مع الشرطة الإيطالية، وألقى القبض عليها، وحاول أحد رجال الشرطة المرتشين قتلها، ولكنها فرت بمساعدة الملحق العسكرى المصرى، وطاردهما رجال الشرطة الزائفون فى إصرار، حتى وجدا نفسيهما أمام سيارة (فان) هائلة، تعترض طريقهما ..

ولم يكن هناك مفرّ من الاصطدام ..

أما (حسام)، فقد سافر إلى (أمريكا)، وأجبر مسئول شركة الهاتف على البوح ببعض ما لديه، ولكنه لم يستطع ذكر اسم (سونيا)؛ لأن أحد حراس الشركة قتله عمدًا ..

ونجح (حسام) فى الفرار من الشركة، ومن مطاردة الشرطة الأمريكية، ثم عاد إلى حارس الشركة، وكاد ينتزع منه المعلومات التى يطلبها، لولا أن هاجمه بعض الرجال فجأة، وأفقدوه الوعى، ثم ألقت الشرطة القبض عليه، وفى أثناء التحقيق معه، دس له الملازم (جونز) سم (السيانيد) فى شرابه ..

وجرع (حسام) الشراب كله ..

وسرى السم فى جسده ..

وفي (انجلترا)، كان (أدهم) يواجه واحدا من أقوى رجال (سونيا جراهام) ..

سير (لانسلوت) .. رجل المخابرات البريطاني السابق، والمغامر الحالي، الذي كشف أمر (أدهم)، وألقاه طعامًا لتمساحه الرهيب (كروكي) ..

ولكن (أدهم) نجا بمعجزة، والتقى بسير (لانسلوت) مرة أخرى، في شخصية جديدة، نجحت في خداع (لانسلوت) بعض الوقت، إلا أنه لم يلبث أن كشف أمر (أدهم) وأعدّ له فخًا مبتكرًا، بمعاونة خادمه وحارسه الشخصي (مور)، حيث وضع أمامه كرة من كرات الجولف، تحوي (النيتروجلسرين) ..

ووسط الأشجار، رأى (لانسلوت) (أدهم) يضرب كرة الجولف ..

ودوى الانفجار الرهيب(*) ..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزءين الأول والثاني، (الصقر الأعمى)، و(القناص) .. المغامرتين رقمي (٩٧)، و(٩٨).

٢ - الحادث ..

لم يكن هناك مفرّ حقًا من الاصطدام، فالملحق العسكري المصري ينطلق بأقصى سرعة بالفعل، وإلى جواره (منى)، و(الفان) الضخمة تسد الطريق كله، وتعترضهما بجانبها الهائل، الذي بدا كجدار شيطاني رهيب.

وبكل ما يملك من قوة، وفي يأس كامل، انحرف الملحق العسكري بالسيارة، و(منى) تصرخ في ارتياع:

- احترس.

ولكن السيارة مالت إلى اليمين، على نحو بالغ الخطورة، ولكن مناورتها المحدودة هذه لم تنجح في إنقاذها، فأطلقت إطاراتها صريرًا مخيفًا، وهي تزحف بسرعة رهيبة نحو (الفان)، و...

وحدث الاصطدام ..

ومع صرخة (منى) المتصلة، التي يمتزج فيها الرعب بالألم والارتياع، ضربت السيارة جانب (الفان) في عنف، وتحطم جانبها الأيسر كله، ثم انقلبت على جانبها الأيمن، وزحفت لستة أمتار كاملة، قبل أن تصطدم بجانب الطريق، وتشتعل النيران في مؤخرتها على نحو مخيف ..

وعلى بعد أمتار قليلة ، قهقه (ماريو) ضاحكًا ، فى سخرية وشماتة ، داخل سيارة الشرطة الزائفة ، وهو يقول :

ـ أرأيت يا صديقى .. هذا هو ما أعددته لهم فرقتنا .. فخ أنيق ، يصنع فى لحظة واحدة ، ما نسعى نحن لتنفيذه.

تطلّع زميله (كارلو) إلى السيارة ، التى اندلعت النيران فى مؤخرتها ، وهو يقول فى قلق :

ـ أتعتقد أنهما لقيا حتفهما .

أشار (ماريو) إلى النيران ، وقال ساخرًا :

ـ ما رأيك أنت ؟

تطلّع (كارلو) بضع لحظات إلى النيران بدوره ، ثم قال فى حسم :

ـ لابد وأن نتأكد .

وفتح باب السيارة ، وهو ينتزع مسدسه ، واتجه نحو السيارة نصف المشتعلة فى حذر ، فى حين أشعل (ماريو) سيجارته فى استهتار ، وهو يقول :

ـ احترس يا رجل .. ستنفجر تلك السيارة بعد ست دقائق على الأكثر .

لوّح (كارلو) بيده اليسرى فى ضجر ، وانحنى يتطلّع فى حذر ، عبر الزجاج الأمامى نصف المحطّم ، لسيارة الملحق العسكرى المصرى ..

كان من الواضح ، من النظرة الأولى ، أن الملحق العسكرى الشاب قد لقى مصرعه ، فقد تهشمت جمجمته على نحو بشع ، فى حين استلقت (منى) مغمضة العينين ، والدماء تسيل من جرح فى جبهتها ..

وضاقت حدقتا (كارلو) ، وهو يتأمّل (منى) فى حذر ، ثم رفع فوهة مسدسه نحوها ، وهو يتمتم :

ـ لن يضيرها أن تتلقى رصاصة ثانية فى جبهتها .

ولكن فجأة ، اعتدلت (منى) ، ورفعت يدها الممسكة بمفتاح من الصلب ، من الأدوات التى تستخدم لإصلاح السيارة ، وألقته بكل قوتها نحو (كارلو) ..

وتراجع (كارلو) مع المفاجأة ، وهو يهتف :

ـ اللعنة .. إنها ..

ولكن الأداة الثقيلة ارتطمت بوجهه ، وأخرسته قبل أن يتم عبارته ، فختمها بصرخة ألم ، وهو يسقط أرضًا ، فاتسعت عينا (ماريو) ، وهو يهتف بدوره ذاهلًا :

ـ يا للشيطان !

لم يكد يتم كلمته ، حتى رأى (منى) تثب فى رشاقة ، عبر الزجاج المحطّم ، وتركل (كارلو) بكل قوتها فى معدته ، ثم تثب لتركله مرة أخرى فى أنفه ..



لم يكد يتم كلمته ، حتى رأى (منى) تثب فى رشاقة ، عبر الزجاج المحطم ، وتركل (كارلو) بكل قوتها فى معدته ..

ومع سقوط (كارلو) أرضًا ، قفز (ماريو) خارج السيارة ، وانتزع مسدسه ، صارخًا فى ثورة :

ـ أيتها اللعينة .

وأطلق رصاصاته نحو (منى) فى غضب ، ولكنها ارتمت أرضًا ، والتقطت المسدس الذى سقط من (كارلو) ، وتدحرجت فى مهارة ، متفادية سيل الرصاصات ، وراحت تمطر (ماريو) برصاصاتها أيضًا ..

وكانت مفاجأة مدهشة لرجل (المافيا) ..

لقد كشف ، فى هذه اللحظة فقط ، أنه يقاتل محترفة ، لا يشق لها غبار ..

كانت رصاصاتها تصيب ما حوله ، على نحو يمنعه من إبراز رأسه ومواجهتها ، فغمغم ساخطًا :

ـ ألف لعنة .

ومد أصابعه المرتجفة ، يلتقط بوق اللاسلكى ، وهو يهتف :

ـ أنا (ماريو) .. أجب .. أجب عليك اللعنة .

أتاه صوت يسأل فى اهتمام :

ـ أين أنت يا (ماريو) ؟ وماذا حدث ؟.. هل انتهت المهمة ؟

صرخ (ماريو) :

- لم ينته أى شىء .. لقد نجت تلك اللعينة ، على الرغم من إصاباتها ، وهى تطلق النار علىَّ كالمطر .. ألا تسمع صوت الرصاصات ؟!

أتاه صوت محدثه مفعمًا بالدهشة ، وهو يقول :

- أية رصاصات ؟!

تراجع رأس (ماريو) فى حدة ، وقد انتبه ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن رصاصات (منى) قد توقفت بالفعل ، فهتف وهو يستدير إلى حيث كانت تقف :

- اللعنة ، أين ذهبت تلك العا .....؟

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت (منى) تثب فوقه ، من سطح سيارته ، وتركل مسدسه بعيدًا ، وهى تقول :

- هنا أيها الوغد .

سقط (ماريو) أرضًا ، ثم هبَّ واقفًا على قدميه بسرعة ، وانتزع من ساقه سكينًا ضخمًا ، وهو يصرخ ..

- لن تهزم فتاة (ماريو) .

قفزت (منى) تركل السكين فى مهارة ، وهى تقول :

- أهذا رأيك النهائى ؟

صرخ مع ضياع سكينه ، وهو ينقض على (منى) كوحش مفترس :

- لا .. لن أسمح بهذا .

وفى نفس اللحظة التى انتهى فيها من صرخته ، دوى انفجاران ..

انفجار سيارة الملحق العسكرى المصرى ، وانفجار قبضة(منى) فى أنف (ماريو) ..

وجحظت عينا (ماريو) ، فى مزيج من الدهشة والألم ، ولكن(منى) أعقبت لكمتها بأخرى أشد عنفًا ، فى الموضع نفسه ، فهوى (ماريو) فاقد الوعى ، ووقفت هى تلهث ، من فرط ما بذلت من عنف ، وغمغمت :

- ها هى ذى فتاة مصرية تهزمك أيها الحقير .

وانحنت تلتقط مسدسه ، ثم احتلت مقعد القيادة ، فى سيارة الشرطة الزائفة ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها صوت متوتر ، عبر جهاز اللاسلكى ، يهتف :

- (ماريو) .. أين أنت .. ماذا حدث ؟

التقطت (منى) بوق الجهاز ، وقالت فى سخرية تمتزج بما تشعر به من ألم :

- لقد انتهى رجلكم أيها الوغد .. لم يعد قادرًا على الرد .

هتف الرجل فى ذهول :

- ماذا ؟.. أهو أنت؟.. كيف نجوت من الحادث ؟

أجابته فى حدة :

- الفضل لله (سبحانه وتعالى) .. ولحزام الأمان القوى، ومبادرة صديقى المسكين، الذى ضحى بحياته، وتلقى الصدمة كلها بدلًا منى .

صاح الصوت، وهى تدير محرك السيارة :

- لن تفلتى منا .. إنها ليست نهاية المطاف، مازال لدينا الـ ...

أخرسته وهى تقطع سلك البوق، وتلقى به من النافذة، وتوقفت لحظة، اغرورقت خلالها عيناها بالدموع، وهى تلقى نظرة على السيارة المحترقة، متمتمة فى مرارة وألم :

- وداعًا يا صديقى .. لقد كنت عظيمًا، حتى اللحظة الأخيرة .

وانطلقت بالسيارة، لتكمل طريقها إلى المطار ..

وفى أعماقها، كان كل شىء يرتجف ..

صحيح أنها نجت من الحادث، ولم تلق مصرعها فيه، ولكنها أيضًا لم تخرج منه سالمة ..

إنها تشعر بآلام مبرحة، فى كل عظمة من عظام جسدها المرهق، والدماء تسيل من جرح جبهتها، لتغرق جانب وجهها، وجزء كبير من شعرها المصبوغ ..

وبطبيعة أنثوية فطرية، ألقت نظرة على وجهها، فى مرآة السيارة، وزفرت فى عصبية، وهى تمسح الدم بأصابعها، مغمغمة :

- يا للسخافة ! .. من حسن الحظ أن (أدهم) لايشاركنى هذا الجزء من العملية، ورآنى فى هذه الحالة المزرية .

زفرت مرة أخرى فى توتر، وزادت من سرعة السيارة، حتى لاح لها المطار من بعيد، فهتفت فى ارتياح :

- أخيرًا .

وما إن لمحت أول هاتف عام، حتى أوقفت السيارة إلى جواره، وهبطت منها تلتقط سماعة الهاتف، وتطلب رقم السفارة المصرية فى (روما)، ولم تكد تسمع صوت محدثها، حتى قالت بسرعة وتوتر :

- صباح الخير يا سيدى السفير .. آسفة للاتصال بك فى هذه الساعة المتأخرة، ولكن الأمر عاجل بالفعل .. أنا الرائد (منى توفيق)، أتحدث إليك من المطار .. نعم .. من المخابرات المصرية .. لدى أخبار مؤسفة يا سيدى .. الرجل الذى أتيت من أجله يعمل لحساب (المافيا)، ولقد طاردونا فى شراسة، وتسببوا فى مصرع الملحق العسكرى .. نعم يا سيادة السفير .. إنك لم تخطئ السمع لقد استشهد ملحقنا العسكرى، ونجوت أنا بأعجوبة، ومازالت الأمور ..

قاطعها فجأة صوت صارم غاضب، يقول فى حدة :

ـ عجبًا !.. ما الذى لدنيا هنا ؟.. ألديك تفسير منطقى يا سنيوريتا ؟

استدارت إلى مصدر الصوت بسرعة، مصوّبة مسدسها إلى صاحبه فى عصبية، ورأت أمامها رجلًا فى أوائل الخمسينات من عمره، أصلع الرأس، أشيب الفودين، ضخم الجثة، تطلّع إلى مسدسها بغضب أكثر، وهو يتابع :

ـ ما هذا بالضبط ؟.. أتجرئين على تصويب مسدسك إلى مفتش شرطة ؟!

قالت فى حذر :.

ـ ومن أدرانى أنك رجل شرطة حقيقى ؟

أخرج شارة الشرطة من جيبه، وهو يقول فى عصبية :

ـ أتكفى هذه ؟.. البطاقة الموجودة تشير إلى أننى المفتش (روسكوتيس) .

تطلّعت إلى الشارة لحظات فى إمعان، ثم خفضت مسدسها، مغمغمة :

ـ إلى حد ما .

مطّ شفتيه، وعقد ساعديه أمام صدره، وهو يقول فى حزم :

ـ الآن، وبعد أن انتهيت من استجوابى، والتأكد من هويتى، حان دورى لتوجيه الأسئلة .. أخبرينى بالله عليك .. من أنت ؟.. وما سر إصابتك ؟.. وكيف اتفق أنك تركبين واحدة من سيارات الشرطة ؟

أشارت إلى السيارة، قائلة :

ـ إنها ليست سيارة حقيقية .

فغر فاه فى دهشة، قبل أن يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

همّت بإجابته، لولا أن ارتفع من الهاتف صوت السفير، يصيح فى قلق :

ـ هل تسمعيننى أيتها الرائد ؟.. أين أنت ؟

رفعت سمّاعة الهاتف إلى أذنيها، وهى تقول :

ـ أنا هنا يا سيادة السفير .. لقد التقيت بـ..

فوجئت بالمفتش (روسكو) يختطف منها السمّاعة، وينهى المحادثة بحركة عنيفة، وهو يقول :

ـ هذا يكفى .

انقبضت قبضتها فى تحفز، وهى تقول :

ـ ما هذا بالضبط ؟

قال فى حدة :

ـ إنك تتحدثين بلغة أجهلها، بحوار أجهل فحواه، مع رجل أجهل هويته، فما الذى تتوقعين منى فعله ؟

تطلّعت إليه لحظات فى غضب متحفز ، ثم لم تلبث أن تمالكت أعصابها ، وقالت :

ـ فليكن .. دعنا ننهى هذا الأمر السخيف بسرعة .

هتف :

ـ عظيم .. ما زلت أنتظر جوابًا لأسئلتى .

عقدت ساعديها أمام صدرها بدورها ، وهى تقول :

ـ فى هذه الحالة سيطولُ انتظارك كثيرًا ؛ لأنّنى لن أجيب أى سؤال .

صاح محنقًا :

ـ هكذا؟!.. فليكن .. سألقى القبض عليك إذن ، مع قائمة طويلة من الاتهامات .. سرقة سيارة شرطة ، وحمل سلاح بدون ترخيص ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ إننى أحمل جواز سفر دبلوماسيًا .

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فيها فى غضب ، ثم قال فى حدة :

ـ هذا لا يمنحك حق حمل سلاح بدون ترخيص .. أعطينى هذا السلاح فورًا .

ناولته المسدس ، قائلة فى لهجة تحمل رنة ساخرة :

ـ ها هو ذا .. لقد فرغت رصاصاته كلها .

أدهشها ذلك الارتياح العارم ، الذى ملأ ملامحه ، وتلك الابتسامة الساخرة ، التى ظهرت على طرف شفتيه ، فهتفت والشك يعصف بها :

ـ ألنت رجل شرطة حقيقى ؟

أجابها بلهجة عجيبة :

ـ بكل تأكيد .

ثم برقت عيناه مع استطرادته :

ـ ولكننى أعمل لحساب العائلة .

فهمت على الفور ما يعنيه ، وتراجعت بسرعة ، وهى تهتف :

ـ أيها الحقير .

ومع آخر حروف هتافها ، برز رجال (المافيا) من خلف سيارة (روسكو) وانقضوا عليها وهم يبتسمون فى سخرية وشماتة ..

كانوا سبعة من الرجال الأقوياء الأشداء ، يحمل كل منهم هراوة قصيرة ، ووجوههم تحمل كل وحشية الدنيا وشراستها ، ومن خلفهم هتف صوت مألوف :

ـ أريدها حية .. من الواضح أن لديها الكثير لتخبرنا به .

صاحت (منى) ، وهى تنقض بدورها :

- جميل منك أن أوضحت .

لكمت أحد الرجال فى أنفه ، بكل ما تملك من قوة ، وتفادت ضربة عنيفة من هراوة الثانى ، وركلت الثالث بين ساقيه ، وقفزت لتتجاوز ضربة الرابع ، ولكنها شعرت بضربة قوية على مؤخرة عنقها ، ودار رأسها فى عنف ، وصرخت بكل قوتها :

- (أدهم) .. أين أنت ؟

ولكن صرختها هذه لم تتجاوز حلقها ، والدنيا تظلم من حولها ، وهى تسقط فى هوة عميقة ..

عميقة ..

وبلا قرار .

* * *



٣ - القتلة ..

تعلقت عينا المفتش (جونز) ، فى قلق واضح ، بذلك القدح ، الذى جرعه (حسام) حتى آخره ، بكل ما يحويه من مادة (السيانيد) السامة ، فابتسم هذا الأخير فى سخرية ، وهو يضع القدح على المائدة ، قائلًا :

- ماذا أصابك يا هذا ؟.. أهى أوّل مرة تشاهد فيها رجلًا يشرب ، أم أنك تجمع صور المتهمين الجدد ، وتصفها فى ..

احتقن وجهه فجأة ، قبل أن يتمّ عبارته ، وأمسك معدته ، صارخًا :

- يا إلهى !.. الألم رهيب .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (جونز) ، وتراجع فى حركة حادة ، وهو يحدّق فى (حسام) ، وقد أصابه انفعال جارف ، فى حين قفز زميله من مقعده ، هاتفًا فى هلع :

- ما .. ماذا حدث ؟

صاح (حسام) ، وهو يتلوّى من ألم شديد :

- أمعائى تتمزّق ، وحلقى جاف ، ونيران مشتعلة فى صدرى .

ازدرد (جونز) لعابه فى صعوبة ، وتمتم :

- ألم أحذركم ؟.. لقد انتحر .

تطلّع إليه زميله فى ذعر ، فى حين هتف (حسام) :

ـ الزجاجة .. أعطونا الزجاجة .

سأله رجل الشرطة فى توتر :

ـ أية زجاجة ؟

قال (حسام) ، وهو يتلوّى فى شدة :

ـ زجاجة الدواء ، التى كنت أحملها .. إنها ليست عطرًا .. أحضرها أرجوك .

اندفع الرجل خارج الحجرة ، لإحضار الزجاجة ، التى تم التحفظ عليها ، عند إلقاء القبض على (حسام) ، فى حين تطلّع (جونز) إلى (حسام) لحظة ، ثم غمغم :

ـ لا فائدة .. لن تنجو هذه المرة .

تطلّع إليه (حسام) فى تهالك ، وهو يسقط فوق المائدة ، فاستطرد (جونز) فى تشفٍ :

ـ إنه (السيانيد) .. أسرع سم فى العالم كما أخبرونى .. لقد انتهت حياتك يا صاح ، ولن يسعفك ذلك الدواء الذى ..

اتسعت عيناه بغتة فى ذهول وهلع ، عندما استعاد (حسام) نشاطه كله دفعة واحدة ، وانقض عليه بحركة مفاجئة ، ودفعه إلى الجدار ، قائلًا :

ـ هكذا إذن !

حاول (جونز) أن يلتقط مسدسه ، ولكن (حسام) عاجله بلكمة كالقنبلة فى فكه ، وأخرى ساحقة فى معدته ، ثم انتزع منه مسدسه ، وألصقه بعنقه ، قائلًا :



فى حين تطلّع (جونز) إلى (حسام) لحظة ، ثم غمغم :

ـ لا فائدة .. لن تنجو هذه المرة ..

- إذن فقد رشوك لتقتلني .. عظيم .. أخبرني إذن من اتصل بك ؟.. أهو ذلك المدعو (توني بورساليتو) ؟

ارتجف (جونز)، من قمة رأسه، حتى أخمص قدميه، وهو يمسح خيط الدم، الذي سال من طرف شفتيه، ويقول منهارًا :

- ولكن كيف ؟.. كيف نجوت من (السيانيد) السام .. لقد رأيتك تشربه بنفسي .

أجابه (حسام) في سخرية :

- لو أنك درست شيئًا من علم السموم، لعرفت الجواب بنفسك يا رجل .. هل تذكر أنني تناولت منذ فترة قرصًا من تلك الأقراص، التي تمنع إفرازات حامض (الهيدروكلوريك)(*) في المعدة، وقلت : إنني أتناولها باستمرار .. هذا هو الجواب يا أستاذ الأغبياء، ابحث عنه في كتب السموم، أو في تاريخ حياة (راسبوتين)(**) .

(*) حمض الهيدروكلوريك : يعرف أيضًا باسم (الميورياتيك)، وهو المحلول المائي لكلوريد الهيدروجين، وهو حمض قوي، له أهمية تجارية كبيرة، ويتفاعل مع أغلب الفلزات، وتفرزه المعدة بصورة طبيعية، لهضم المواد الغذائية داخلها، وله استخدامات أخرى في الطب وتنظيف المعادن .

(**) راسبوتين : راهب روسي، وشخصية داعرة، التصق ببلاط (نيقولا الثاني)، وكان فلاحًا أميًا، سيطر على القيصر والقيصرة، عن طريق شعوذات وأفعال خارقة للطبيعة، ولعلاجه ولي العهد، المصاب بنزيف الدم (الهيموفيليا)، وقد اغتاله فريق من النبلاء، بزعامة الأمير (يوسوبوف) .

غمغم (جونز) في دهشة مذعورة :

- (راسبوتين) ؟!

قال (حسام) ساخرًا :

- نعم .. هو أيضًا حاولوا اغتياله بسم (السيانيد)، وفشلت المحاولة .

مع آخر حروف كلماته، وصل مفتش الشرطة الآخر، وهو يحمل الزجاجة، ولم يكد يرى (حسام)، وهو يلصق زميله بالجدار، حتى انتزع مسدسه، هاتفًا :

- اللعنة !.. كانت خدعة .

انحنى (حسام) بسرعة مدهشة، متفاديًا رصاصة المفتش، ثم وثب نحوه كالفهد، وركل مسدسه في مهارة، ثم كال له ثلاث لكمات سريعة، اختطف بعدها الزجاجة من يده، قبل أن تسقط أرضًا، وهو يقول :

- انتبه يا رجل .. لو سقطت هذه، ستكون نهايتنا جميعًا .

اندفع (جونز) نحوه من الخلف، مستغلًا انشغاله بالتقاط الزجاجة، ولكن (حسام) لمحه بطرف عينه، فدار حول نفسه في رشاقة، ولكمه لكمة كالصاعقة، في أنفه مباشرة، أسقطته فاقد الوعي، في نفس اللحظة التي اندفع فيها رجال الشرطة نحو حجرة التحقيقات، مع الهرج الحادث فيها ..

وأصبح على (حسام) أن يواجه رجال الشرطة مرة أخرى .

وكانت هذه المرة تختلف كثرًا عن سابقاتها ..

كانت فى عقر دارهم ..

ولم يضع (حسام) لحظة واحدة ..

لقد انتزع غطاء زجاجة العطر الزائفة ، وأفرغ محتواها فى حرص ، على سطح المنضدة الصغيرة فى حجرة التحقيقات ..

كانت للسائل الزيتى القوام داخلها رائحة عطرية واضحة ، ولكنه كان يخفى داخله أربع كرات صغيرة من الزجاج ، تحوى سائلاً آخر ، له نفس اللون ، التقطها (حسام) فى حذر ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها رجال الشرطة إلى بداية الردهة ، التى تقود إلى الحجرة ..

وبسرعة مدهشة ، ألقى (حسام) واحدة من الكرات الأربع نحوهم ..

ودوى انفجار محدود ..

انفجار أطاح بأحد رجال الشرطة ، وأجبر الباقين على التراجع ، فى حين وثب (حسام) خارج الحجرة ، وهو يطلق رصاصات مسدسه فى غزارة ..

وكانت مفاجأة مذهلة لإدارة الشرطة كلها ..

مفاجأة أصابت العديدين بالشلل ، وأجبرت الآخرين على التراجع ، مع انفجار الكرة الثانية ، والرصاصات المصاحبة لها ، و (حسام) يشق طريقه فى بسالة عجيبة نحو الأبواب الخارجية ..

وفى حجرة المفتش (جونز) ، هبّ (تونى) واقفًا ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، هاتفًا فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

كان قد فكّر فى الانصراف ، بعد أن أعطى السم للمفتش (جونز) ، إلا أنه لم يلبث أن قرّر البقاء ، ليتأكد بنفسه من النتيجة ..

وها هى ذى مفاجأة جديدة تواجهه ..

وعلى الرغم من صعوبة الموقف ودقّته ، اندفع (تونى) يغادر الحجرة ، وراح يعدو نحو حجرة التحقيقات ، على عكس اتجاه الحركة العام فى المكان كله ..

ومع دوى الانفجار الثالث ، عند باب الإدارة الرئيسى ، كان (تونى) قد بلغ الحجرة ، ورأى (جونز) ، الذى يستعيد وعيه مترنحًا ، فانقض عليه ، وجذبه من سترته فى عنف ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه (جونز) فى إعياء :

ـ لقد هرب ذلك الشيطان .

صاح (تونى) فى جنون :

ـ هرب ؟!.. وكيف سمحت له بهذا ؟.. لماذا لم تدس له السم كما أمرتك .

قال (جونز) فى انهيار :

ـ لقد فعلت يا مستر (بورسالينو) .. أقسم لك أننى فعلت .. بل رأيته يشربه بنفسى ، ولكنه لم يتأثر به قط .

احتقن وجه (تونى) ، وهو يهزه فى عنف ، هاتفًا :

ـ مستحيل !.. كيف يحدث هذا ؟

هزّ (جونز) رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى .. أقسم لك أن هذا يكاد يصيبنى بالجنون يا مستر (بورسالينو) لقد شرب ذلك الشيطان القدح كله ، ثم هبّ واقفًا فى نشاط ، وذكر شيئًا عن (راسبوتين) .

عقد (تونى) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ (راسبوتين) ؟!

هتف (جونز) :

ـ لست أدرى ما يعنيه هذا يا مستر (بورسالينو) .. أقسم لك ..

دفعه (تونى) فى عصبية ، ونهض معقود الحاجبين ، وعقله يتساءل فى شدة ..

ـ نعم .. ما الذى يعنيه هذا ؟!..

ما الذى يعنيه ؟..

أما (حسام) نفسه ، فقد شق طريقه إلى الخارج بكل عنف وقوة ، وتبادل إطلاق النيران مع عشرات من رجال الشرطة الأمريكيين ، وشعر برصاصة تخترق ذراعه اليسرى ، وأخرى تغوص فى فخذه اليمنى ، ولكنه لم يتوقف ، بل واصل طريقه حتى ساحة السيارات ، حيث ألقى قنبلته الأخيرة ، وهو يثب داخل سيارة قوية ، وينطلق بها مبتعدًا ..

وصرخ مدير إدارة الشرطة فى غضب :

ـ إنه يهرب .. الحقوا به .. أمسكوه .

ومع صرخته ، علم رجال الشرطة أنفسهم ، واندفعوا إلى سياراتهم ، ولكنهم كشفوا عندئذ أن قنبلة (حسام) الرابعة والأخيرة قد انفجرت وسط السيارات ، وأتلفت معظمها ..

ولكن السيارات الثلاث المتبقية انطلقت لتطارد (حسام) فى غضب ..

ولم تستمر المطاردة طويلًا ..

صحيح أنهم عثروا على السيارة ، التى فرّ بها ، ولكن ..

لم يكن هناك أثر لـ (حسام) ..

ولا أدنى أثر ..

* * *

كان (حسام) يعرف قواعد اللعبة جيدًا هذه المرة ..

لقد قاتل رجال الشرطة الأمريكيين فى عقر دارهم، وهزمهم وحطمَ غرورهم، ونجح فى الفرار منهم ..

ولن يمكنهم احتمال هذا قط ..

إنهـم سيطاردونـه بكل قوتهـم، وكل طاقاتهـم وإمكاناتهم ..

سيطاردونه بكل ذرة غضب فى أعماقهم، حتى يظفروا به، أو يهلكوا دونه ..

ولهذا لم يواصل الفرار بتلك السيارة طويلًا ..

لقد استخدمها فقط للابتعاد عن منطقة القتال، بأقصى مسافة ممكنة. وهذا يعنى مائتى متر على الأكثر، فى مدينة شديدة الازدحام مثل (نيويورك) ..

وفى شارع جانبى مقفر، تخلّى عن السيارة، واحتمل آلام فخذه، وهو يعدو مبتعدًا عنها، من شارع إلى شارع ..

وأخيرًا بلغ منطقة أخرى، فتوقف لاهثًا، واستند إلى جدار قديم، يلتمس بعض الراحة، ويلتقط أنفـاسه المرهقة ..

وفجأة، ارتفع صوت خشن جاف، يقول :

ـ هل يروق لك المكان يا صاح ؟

التفت (حسام) إلى مصدر الصوت، ورأى أمامه رجلين ضخمى الجثة، ينظران إليه فى استخفاف شرير، وهما يعبثان بمديتين حادتين، فتطلّع إليهما بنظرة خاوية، وهما يقتربان منه، وسمع أحدهما يقول :

ـ أراهن أنك تحمل بعض المال .. أليس كذلك ؟

قال (حسام) فى هدوء :

ـ بلى .. إننى أحمل الكثير منه .

رفع أحدهما حاجبيه فى دهشة، لهذا الجواب المباشر الصريح، فى حين أطلق الآخر صفيرًا طويلًا، قبل أن يهتف فى سخرية :

ـ لا تجعل هذا يقلقك يا رجل .. سنخلصك من حملك هذا فى لحظات قصار .

واقتربا منه أكثر، ودفع أحدهما مديته إلى عنقه، فى حين قال الثانى، وهو ينحنى ليفتش جيوبه :

ـ ولكنك مصاب !.. ماذا حدث بالضبط ؟.. هل حاول الزملاء سلبك مالنا ؟

أجابه (حسام) :

ـ نعم .. ولكنهم تراجعوا، بعد أن فعلت بهم ما فعلت .

قال الذى يلصق المدية بعنقه فى سخرية :

- وما الذى فعلته يا (سوبرمان) ؟
قال (حسام) فى حزم :
- هكذا .
ومع قوله ، ارتفعت يده اليسرى تقبض على معصم الرجل ، وتزيح المدية عن عنقه ، فى نفس اللحظة التى أبرز فيها يده اليمنى من خلفه ، وهى تمسك مسدس الشرطى ، وأمالها فى حركة سريعة ، وأطلق رصاصة على قدم اللص ، الذى أطلق صرخة ألم رهيبة ، فى حين هتف زميله :
- ما هذا ؟
رفع (حسام) يده فى سرعة ، وهوى على فك اللص الآخر بكعب المسدس ، قائلًا :
- إنها رصاصة .. ألديك اعتراض ؟
سقط الرجل أرضًا فى عنف ، كجوال ممتلئ بالفحم ، فى حين صرخ زميله ، وهو يحاول منع الدماء ، التى تتدفق من جرح قدمه فى غزارة :
- لن نفعل شيئًا .. إننا نستسلم .
لكمه (حسام) فى أنفه ، قائلًا :
- ولماذا تفسد متعتى يا هذا ؟.. إننى أهوى قتل الأوغاد فى العشاء .

هبّ الساقط واقفًا ، وانطلق يعدو هاتفًا :
- هذا لو وجدتهم أمامك .
أما زميله المصاب ، فراح يحجل بقدم واحدة ، صارخًا :
- انتظرنى أيها الحقير .. لاتتركنى وحدى .
تنفس (حسام) الصعداء عندما ابتعدا ، وأمسك معدته فى ألم ، وهو يفكر فيما حدث فى قسم الشرطة ..
لقد لاحظ اهتمام (سونيا جراهام) الشديد بالقدح الذى قدمه له ، واستنتج من هذا أنه دسّ نوعًا من السم فيه ، ولكنه لم ينتبه إلى هذا إلا بعد أن شرب محتويات القدح كله بالفعل ..
ولم يشعر بأثر السم ..
وعلى الرغم من هذا ، فقد تظاهر بالإصابة ، ليسمع اعتراف المفتش المرتشى ، قبل أن ينقضّ عليه ..
ومما سمعه ، أدرك لماذا لم يقتله (السيانيد) ، على الرغم من قوته وخطورته ..
وعاودته ثقته ..
ونجح فى الفرار ..
أما الآن ، فهو يشعر بالقلق ..
لقد مرّ بفترة توتر عنيفة ، ستؤدى حتمًا إلى آلام معدته العصبية ، ودفعها إلى إفراز بعض أحماضها التى تؤلمه أكثر وأكثر ..



اندفع يغادر ذلك الشارع الضيق ، ولكن الدوار الذى أحاط به
تضاعف أكثر وأكثر .. ،

بل لن تكتفى بإيلامه هذه المرة ..

إنها ستقتله ..

ستقتله حتمًا ، وبلا رحمة .

ومن داخله ، بدأ يشعر بالتهالك والانهيار ، ولكنه صرخ فى أعماق :

ـ لابد وأن أصل إلى المستشفى .. وبأقصى سرعة .

اندفع يغادر ذلك الشارع الضيق ، ولكن الدوار الذى أحاط به تضاعف أكثر وأكثر ، حتى أنه لم يعد يدرك ، أهو تأثير السم ، أم الدماء التى فقدها ، والمجهود الجبار الذى بذله ؟!..

وعبر (حسام) الشارع بأقصى سرعة ، ولكن الدوار تضاعف ، وتضاعف ، وتضاعف ، و ...

وفجأة ، لم يعد جسده القوى قادرًا على الاحتمال ..

وبغتة .. وبلا مقدمات ، سقط (حسام) على أرض الشارع فاقد الوعى ، فى قلب مدينة لاتعرف الرحمة أو الهوادة ..

فى قلب (نيويورك) ..

★ ★ ★

٤ ـ المكتب الخامس ..

كان للانفجار وقع الصاعقة، على أعضاء نادى الجولف الملكى البريطانى، فهبُّوا جميعًا من مقاعدهم، واندفعوا إلى ساحة الجولف الرئيسية، حيث وقف سير (لانسلوت) يتطلع مبهوتًا، إلى منطقة الأشجار الكثيفة، التى تصاعدت منها أدخنة مخيفة، وهتف رئيس النادى مذعورًا :

ـ ماذا حدث يا سير (لانسلوت) .

بقى (لانسلوت) صامتًا بضع لحظات، وهو يبحث ببصره بين الدخان المتصاعد، عن أثر يعلن مصرع (أدهم)، ويزيل ما تبقى فى أعماقه من قلق مبهم، ثم لم يلبث أن رسم على وجهه علامات الحـزن والأسى والارتياع، وهو يستدير إلى أعضاء النادى، هاتفًا :

ـ إنه سير (سبيلمان) المسكين .. (روجر سبيلمان) .. لقد دلف إلى تلك البقعة كثيفة الأشجار، خلف كرتـه، وعندما ضربها انفجرت، وأطاحت به تمامًا .

شحبت وجوه الأعضاء، وأحدهم يهتف :

ـ يا للبشاعة !

وصاح الرئيس :

ـ ولكن هذا أمر مروِّع، لايمكن السكوت عليه .. إنه يشبه قذارات رجال العصابات الأمريكية، أيام (كابونى)(*) .. قنبلة فى كرة جولف !.. يا للعار !.. لن نقبل هذا العبث الإجرامى فى (إنجلترا) قط .

أخفى (لانسلوت) وجهه بكفيه، وهو يهتف فى تأثر وانفعال مبالغين :

ـ يا لهول ما حدث !.. قلبى يتمزّق كلما تخيلت سير (سبيلمان) المسكين، وهذه القنبلة اللعينة تحوّله إلى أشلاء متناثرة، و ...

بتر عبارته، واختفت باقى كلماته فى حلقه، وانتفض جسده كله، عندما سمع من خلفه صوتًا ساخرًا باردًا، يقول :

ـ احتفظ بقلبك سليمًا يا سير (لانسلوت)، كما احتفظت أنا بجسدى .

(*) (ألفونسوا آل كابونى) (١٨٩٩ـ١٩٤٧) : أشهر مجرم فى تاريخ (أمريكا) كلها، عُرف باسم (آل ذو الندبة)، بسبب إصابته بموسى فى وجهه، ولقد نشأ فى (بروكلين)، ثم انتقل للعيش فى (شيكاجو)، وبلغ دخله حوالى ٢٠ مليون دولار، عام ١٩٢٠م، من أعمال إجرامية ومخالفة للقانون، دون أن يفلح رجال الشرطة فى الإيقاع به، حتى تسبب (اليوت نس) فى سجنه عام ١٩٣١م، بتهمة التهرب من ضريبة الدخل.

التفت (لانسلوت) إلى صاحب الصوت فى ذهول ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها شهقات أعضاء النادى ، وهتف الرئيس فى ارتياح :

ـ سير (سبيلمان) .. شكرًا لله .. أنك سليم معافى .

لم يكن (أدهم) لحظتها سليمًا فحسب ، بعد أن نجا من الانفجار ، وإنما كان بكامل أناقته ولياقته ، يمسك عصا الجولف فى هدوء ، ويبتسم فى وسامة ، حاملًا وجه وملامح (روجر سبيلمان) ..

وفى حرارة بالغة ، اندفع إليه رئيس النادى يصافحه ، قائلًا :

ـ إذن فقد نجوت يا سير (سبيلمان) .. كم يسعدنا هذا ؟

رمق (أدهم) (لانسلوت) بنظرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ كانت محاولة حقيرة لقتلى ، إذ أبدل أحدهم كرة الجولف الخاصة بى بأخرى زائفة ، تحوى (نيتروجلسرين) على الأرجح .. وأعترف أننى كدت أضربها بالفعل ، لولا أن لاحظت شيئًا هامًا .

سأله أحد الأعضاء فى شغف :

ـ وما هو ؟

لوّح (أدهم) بعصاه ، وقال فى بساطة :

ـ إن الكرة كانت مستقرة تمامًا ، وكأنما وضعها أحدهم بيده ، ولم تترك خلفها أثر الانزلاق البسيط ، الذى يحدث مع سقوطها ، وقبل أن تستقر فى موضعها .. ولو أضفنا إلى هذا آثار الأقدام حولها ، كان من الطبيعى أن أستنتج أنها كرة زائفة ، ستنفجر فور أن تضربها عصا الجولف .

هتف أحد الأعضاء مبهورًا :

ـ من الطبيعى ؟!.. من أنت بالضبط ؟!.. (رورجر سبيلمان) أم (شيرلوك هولمز) ؟

انعقد حاجبا (لانسلوت) فى غضب شديد ، فى حين اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، التى يرمقه بها فى استهتار ، ورئيس النادى يهتف :

ـ ولكن الكرة انفجرت بالفعل !

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع يا سيدى .. كان من الضرورى أن أتيقن من أننى لم أخطئ الاستنتاج ، لذا فقد احتميت بجذع شجرة كبير ، وأصبت الكرة بحجر كبير ثقيل ، وكان من الطبيعى أن تنفجر .. أليس كذلك ؟

تخلى الأعضاء عن وقارهم هذه المرة ، وهتفوا مهنئين فى حرارة ، وأحاطوا بـ (أدهم) يصافحونه ، فى حين بقى (لانسلوت) فى موضعه ، والأبخرة تكاد تتصاعد من أنفه ، مع ذلك البركان الثائر فى أعماقه ، حتى انفض الجمع ، ورئيس النادى يقول :

- حمدًا لله على سلامتك يا سير (سبيلمان) ، ولكننى سأبلغ الشرطة للتحقيق فى الأمر .

لوّح (أدهم) بكفه ، قائلًا :

- هذا أمر طبيعى أيها الرئيس .

ثم اتجه إلى (لانسلوت) ، وقال فى سخرية :

- عجبًا !.. يبدو أنك الوحيد الذى لم يسع لتهنئتى بالنجاة يا سير (لانسلوت) .. هل أحنقك ما حدث ؟

رمقه (لانسلوت) بنظرة نارية ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فخفض (أدهم) عصاه ، واستطرد متهكمًا :

- وبالمناسبة .. نسيت أن أخبرك أننى عثرت على حارسك (مور) وسط الأشجار ، وألقيت عليه التحية ، ولست أدرى لماذا سقط فاقد الوعى ، وفقد اثنتين من أسنانه الأمامية الجميلة ؟.. ولكنه كان مهذبًا فى الواقع ، فلم يلفظ بحرف واحد ، ولم ..

قاطعه (لانسلوت) فى عصبية :

- كفى .

قالها واستدار فى حركة عنيفة ، واندفع نحو استراحة النادى ، ولكن (أدهم) لحق به فى خطوات واسعة ، وهو يقول مواصلًا سخريته :

- ماذا أصابك يا عزيزى (لانسلوت) ؟.. أين الهدوء الأسطورى ، الذى يمتاز به شعبك ، والذى اشتهرت أنت بالذات به ، أيام عملك فى المكتب الخامس(*) ؟

توقف (لانسلوت) بحركة مباغتة ، واستدار إلى (أدهم) فى غضب ، قائلًا :

- ما الذى تريده بالضبط ؟.. لقد نجوت من الانفجار .. حسن .. وماذا بعد ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

- لقد بدأت مرحلة اللعب بأوراق مكشوفة يا سير (لانسلوت) .. والواقع أننى مغرم دائمًا بهذه المرحلة ، وأميل إليها كثيرًا فى عملى .. الآن أنت تعلم من أنا ، وأنا أعلم من أنت ، ولم يعد هناك مبرر للتحايل والمناورة .

قال (لانسلوت) فى حدة :

- عظيم .. ومن هذا المنطلق ، دعنى أخبرك أن نجاتك من الانفجار لا يعنى أنك أصبحت فى مركز يستحق الاهتمام .. حياتك نفسها أصبحت مسألة مؤقتة ، قد تنتهى فى أية لحظة .

عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

(*) المكتب الخامس : اسم يُطلق على المخابرات البريطانية .

ـ هذا أمر طبيعى ، لا يستحق فلسفة خاصة أيها الحقير ، فحياة كل مخلوق فى الكون مسألة مؤقتة ، تنتهى فى اللحظة التى يختارها خالقه (عزَّ وجلَّ) ، وبالنسبة لك ، ستتحوَّل حياتك إلى جحيم ، تتمنى فيه الموت ألف مرة ، لو لم أحصل منك على كل ما أبتغيه من معلومات .

انتفض (لانسلوت) فى غضب هادر ، وهو يقول :

ـ هل بلغت بك الوقاحة حتى تهديدى فى وطنى أيها المصرى ؟!.. ألا تعلم ما يمكننى أن أفعله بك هنا ؟.. يكفى أن أعلن أنك لست (روجر سبيلمان) كما تدّعى ، وأن (آرثر سبيلمان) لم ينجب أبدًا ، وسيكون عليك عندئذ أن تبرِّر موقفك لرجال الشرطة .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ وهل يلجأ (لانسلوت) العظيم لمثل هذه السخافات ؟

أجابه (لانسلوت) فى غضب :

ـ نعم .. إذا اضطره الأمر لذلك .

تنهَّد (أدهم) ، وقال فى هدوء :

ـ إنك تضطرنى ، فى هذه الحالة ، إلى التعامل معك بوسيلة مختلفة .

قال (لانسلوت) متحديًا :

ـ مثل ماذا ؟

أجابه (أدهم) بسرعة :

ـ مثل هذه .

قالها وهو يتحرَّك بخفة مدهشة ، ويدور حول خصمه ، ثم يلكمه لكمة فنية فى مؤخرة عنقه ، جحظت لها عينا (لانسلوت) لحظة ، ثم هوى فاقد الوعى ، فتلقفه (أدهم) فى رشاقة ، وهو يهتف بصوت مرتفع ، تعمَّد أن يسمعه روَّاد النادى :

ـ سير (لانسلوت) .. ماذا أصابك ؟

هرع إليه بعض الأعضاء ، هاتفين ؟

ـ ماذا حدث ؟

أجابهم (أدهم) متظاهرًا بالفزع :

ـ لست أدرى .. لقد فقد وعيه فجأة .. إنه يحتاج إلى طبيب .

هتف أحد الأعضاء :

ـ سأقوم باستدعاء طبيب النادى بسرعة .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ كلا .. إنه يحتاج إلى طبيبه الخاص ، الدكتور (مانن) .. سأحمله إليه على الفور .

وقرن القول بالفعل ، دون أن يضيع لحظة واحدة ، فحمل (لانسلوت) على ذراعيه ، وأسرع به إلى سيارته

أمام النادى، وبعض الرواد يلحقون به، ويعرضون مساعدتهم وتعاونهم، ووضع (أدهم) (لانسلوت) الفاقد الوعى، على الأريكة الخلفية لسيارته، وهمّ بالجلوس خلف عجلة القيادة، عندما ظهرت سيارة الشرطة فجأة، وتوقفت أمام سيارته تمامًا، وهبط منها مفتش شرطة بريطانى، ينفث دخان غليونه فى إسراف، وهو يقول :

ـ أين سير (روجر سيبلمان) ؟ وما قصة القتيلة هذه ؟

أجابه (أدهم)، فى لهجة توحى بالعجلة :

ـ أنا (روجر سيبلمان)، ولكننى لن أستطيع شرح الأمر الآن، فمعى سير (لانسلوت)، وهو فاقد الوعى، ولابد لى من حمله إلى طبيبه الخاص على وجه السرعة، قبل أن ...

وهنا، قاطعه بغتة صوت الخادم (مور)، وهو يعدو نحو سيارة (أدهم)، صارخًا :

ـ أوقفوه .. إنه ليس (روجر سيبلمان) .. إنه زائف .. أنقذوا سير (لانسلوت)، قبل أن يختطفه .

ولكن (أدهم) جلس خلف عجلة القيادة بالفعل، وهو يقول :

ـ إلى اللقاء أيها المفتش، سأبذل قصارى جهدى للعودة بسرعة .

عقد المفتش حاجبيه، وهو يقول :

ـ مهلًا .. هذا الرجل يقول : إنك ..

ولكن (أدهم) لم يمهله ليتمّ قوله، وإنما انطلق بسيارته على الفور، و (مور) يصرخ :

ـ لا .. أنقذوا سير (لانسلوت) .

وارتفع حاجبا مفتش الشرطة فى دهشة، ثم قفز داخل سيارته، وصاح فى سائقها :

ـ اتبع هذه السيارة .

وانطلقت سيارة الشرطة خلف (أدهم) ..

أما (مور)، فقد شحب وجهه فى شدة، وردد فى ارتياع :

ـ ربّاه !.. سير (لانسلوت) !

وتجمّد فى مكانه لحظة، محدقًا فى النقطة التى اختفت عندها سيارة (أدهم)، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف، وكأنما يستيقظ من حلم بشع، ودار على عقبيه، واندفع إلى داخل النادى، والتقط سمّاعة الهاتف، وضغط أزرار رقم خاص، ولم يكد يسمع صوت محدثه، حتى قال فى توتر :

ـ المكتب الخامس ؟.. أريد التحدث إلى (ريتشارد

أكسيل) .. نعم .. أنا (مور) .. الخادم الخاص لسير (لانسلوت) .. إنه أمر عاجل للغاية .

وانتظر لحظات، حتى سمع صوت محدثه، فهتف :

ـ مستر (أكسيل) .. إنه أنا .. (مور) .. لقد اختطفوا سير (لانسلوت) يا سيدى .. نعم .. اختطفه جاسوس (مصرى) .. انقذه يا مستر (أكسيل) .. أرجوك .

ولم يكد يعيد سماعة الهاتف، حتى أصبح واثقًا من أنه قد أطلق فى أعقاب (أدهم) أكبر قوة، فى الإمبراطورية البريطانية السابقة كلها ..

رجال المكتب الخامس، المعروف عالميًا باسم أكثر وضوحًا ..

اسم : جهاز المخابرات البريطانية .

* * *



٥ ـ الخطة تسير ..

بدت (سونيا جراهام) شديدة التوتر فى ذلك المساء، وهى تتحدث هاتفيًا مع (ألكس ميلانوفيتش)، الذى هتف من قلب (موسكو)، بحماس منقطع النظير :

ـ كل شىء يسير على ما يرام يا مسز (آرثر) .. البضائع وصلت هنا، وافتتحنا شركة تصدير المعدات الزراعية الروسية. وسيتم استبدال القطع الرئيسية مع (مالينوف)، و ..

قاطعته (سونيا) فى عصبية :

ـ لا تذكر أية أسماء .

ازداد لعابه، وقال :

ـ بالطبع يا مسز (آرثر) .. بالطبع .. هذا أمر بديهى .. إنه مجرد سهو فحسب، ولم أكن أقصد أن ..

قاطعته مرة أخرى فى عصبية أكثر :

ـ فليكن .. متى تحصل على القطع الأصلية ؟

أجابها بسرعة :

ـ غدًا .. فى منتصف الليل تمامًا .. لقد اتفقت على كل

شىء مع (مالـ...) أقصد مع صديقنا هنا ، وسنلتقى فى المكان المحدود ، وننهى كل شىء بسرعة .

زفرت فى توتر شديد ، لم يجد له مبررًا ، فتمتم مرتبكًا :

ـ ألديك أية تعديلات ؟

أجابته فى حدة :

ـ كلا .. امض فى الصفقة تبعًا للخطة .

وأنهت الاتصال بسرعة عجيبة ، ثم رفعت عينيها إلى (تونى بورسالينو) ، وأشعلت سيجارتها فى عصبية ، فسألها فى خفوت حذر :

ـ الخطة تسير على ما يرام .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى توتر ، وهو تنفث دخان سيجارتها ، ثم سألته فى انفعال واضح :

ـ إذن فقد تحدث عن (راسبوتين) !

قال (تونى) :

ـ هذا ما أخبرنى به (جونز) ، ولكننى أجهل ما يعنيه هذا ، وما صلة ذلك الراهب الروسى المخيف بما حدث ؟

لوحت بيدها ، قائلة :

ـ هذا لأن ثقافتك ضحلة للغاية .

فغر فاه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ وما صلة الثقافة بهذا .

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وهى تجيب :

ـ لو أنك قرأت شيئًا عن (راسبوتين) هذا ، لعلمت أن أحد النبلاء حاول قتله ذات مرة ، باستخدام سم (السيانيد) ، ولكن (راسبوتين) كان مصابًا بانعدام أحماض المعدة ؛ بسبب إدمانه الطويل للخمر ، و (السيانيد) فى حد ذاته ليس مادة سامة ، وإنما يتحول إلى ذلك عندما يختلط بحمض الهيدروكلوريك فى المعدة وينتج حمض السيانيد المائى ، وهو الشق الشديد السمية ، وفى حالة خلو المعدة من الحامض ، يبقى السيانيد كما هو ، فيتبقى أثره السام .

هتف (تونى) :

ـ فهمت .. إذن فالأقراص التى كان يتناولها ذلك الشيطان ، والتى تمنع إفراز حامض الهيدروكلوريك فى معدته ، هى التى منعت تكوّن الحامض السام ، وأنقذته من الموت .

قالت فى عصبية :

ـ تمامًا .. إنه ينجو فى كل مرة بمعجزة مماثلة ، وكأنما يحابيه ملك الموت .

تطلّع إليها فى دهشة ، وهو يقول :

ـ هل تعرفينه يا سيِّدتى ؟

عقدت حاجبيها فى شدة ، وتطلّعت لحظة فى صمت عجيب ، إلى حوض السباحة المجاور لمكتبها ، عبر الجدار الزجاجى الضخم ، الذى يفصل بينهما ، قبل أن تجيب بصوت يموج بالانفعال .

ـ لو أنه الشخص نفسه ، الذى أفكر فيه ، فأنا أعرفه جيِّدًا .. بل وأكثر مما يمكنك تخيله .

زادت دهشته ، وهو يتأمّل عصبيتها وانفعالها ، وهى تجذب أنفاس سيجارتها فى قوة ، ثم تنفثها فى عنف ، وتتابع :

ـ ولكن هناك أمر يثير حيرتى ودهشتى .

سألها فى حذر :

ـ وما هو ؟

ازداد انعقاد حاجبيها لحظات ، قبل أن تقول :

ـ الشخص الذى هرب من إدارة الشرطة ، يتعامل مع الأمور بعنف شديد ، ويتسبب فى مصرع البعض دون تردّد ، وهذا لا يتفق مع طبيعة الشخص الذى أعرفه ، والذى يتعامل مع الحياة وكأنها جوهرة ثمينة ، يتفادى طوال الوقت مجرّد خدشها ، إلا فى حالات الضرورة القصوى ، وللدفاع عن حياته ووطنه فحسب .

هتف (تونى) فى دهشة :

ـ أى شخص هذا ؟

شرد بصرها ، وهى تجيب :

ـ شخص من طراز شديد الندرة ، لا يمكنك أن تجد سوى نسخة واحدة منه ، فى الجيل الواحد ، وربما فى عدة أجيال .. شخص يمكنه أن يتصدّى وحده لجيش كامل ، دون أن تهتز فى جسده شعرة واحدة ، أو يتراجع قيد أنملة .. شخص من نوع خاص يا (تونى) .. خاص جدًا .

ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ سيِّدتى .. إنك ..

كاد يقول :

ـ إنك تعشقينه .

ولكنه أمسك لسانه فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن ينطق الكلمة ، وتلعثم لجزء من الثانية ، قبل أن يتابع :

ـ إنك تدهشيننى .

سحقت بقايا سيجارتها فى المنفضة ، وهى تقول :

ـ المصطلح الأكثر صحة هو : « إنك تخيفيننى » .

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ لو أنه هناك شخص كهذا ، فهو كفيل بإخافتى بالفعل .

مطّت شفتيها الجميلتين ، وهى تقول :
ـ إنه موجود بالتأكيد .
ثم التفتت إليه مستطردة فى حماس مفاجئ :
ـ ولو أننا نتحدّث عن الشخص نفسه ، فنجاته من السم ليست نهائية ، إذ أن المجهود والانفعال سيجبران معدته حتمًا على إفراز شىء من الحامض ، وعندئذ يتكوّن الحامض السام ، ويلقى مصرعه ، أو ...
عادت تعقد حاجبيها فى تفكير عميق ، فسألها فى لهفة :
ـ أو ماذا ؟..
قالت فى بطء :
ـ أو يفقد وعيه على الأقل .
سأل فى اهتمام :
ـ وماذا سيحدث عندئذ ؟
قالت فى حماس :
ـ سيحملونه إلى أقرب مستشفى بالتأكيد ، أو يتركونه ليلقى مصرعه وسط الطريق .
أشعلت سيجارة أخرى فى انفعال ، وقالت :
ـ فليكن يا (تونى) .. إنك لن تحظى بالنوم هذه الليلة .. ستدور على كل مستشفى فى (نيويورك) ، وتبحث عن

شخص فقد الوعى فى الطريق ، ومصاب بتسمم محدود ، وربما برصاصة أو رصاصتين ، وسنعثر عليه حتمًا .
وارتجفت أطرافها ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، مستطردة :
ـ حتمًا يا (تونى) .. حتمًا .
واشتعلت نيرانها أكثر ..

* * *

كانت مطاردة مثيرة ، فى قلب (لندن) ..
(أدهم) ينطلق بالسيارة ، فى قلب العاصمة البريطانية ، وسير (لانسلوت) فاقد الوعى ، فى مقعدها الخلفى ، وسيارة الشرطة تشق طريقها خلفه ، وبوقها ينطلق بتواصل مزعج سخيف ..
ولكن ، من يهزم (أدهم صبرى) ، فى مطاردة سيارات ..
لقد انطلق وسط الشوارع المزدحمة فى مهارة مدهشة ، وكأنما ينطلق فى صحراء خاوية ، والمارة يفسحون له الطريق مذعورين ، وهو يقفز بسيارته فوق الإفريز تارة ، ويتجاوز بها سيارة مسرعة تارة أخرى ..
وفى سيارة الشرطة ، هتف المفتش ، وهو يمسك بوق جهاز اللاسلكى :



وارتجفت أطرافها ، وهي تنفث دخان سيجارتها ، مستطردة :

ـ حتمًا يا (تونى) .. حتمًا

ـ إلى جميع الوحدات .. اشتركوا معنا في هذه المطاردة .. إننا نطارد شيطانًا بالتأكيد .. لقد اختطف أحد النبلاء ، وهو يقود سيارته على نحو لم أشاهده قط من قبل ، في طريق (البيكاديللى)(*) .. حاولوا اعتراض طريقه ، أو افعلوا شيئًا لإيقافه .

وراح يكرر نداءه على نحو متصل ، والشرطي المصاحب له يطارد (أدهم) في ذلك الطريق الطويل الذي يقود إلى الميدان ، ثم لم يلبث أن هتف في ارتياح :

ـ لقد اعترضوا طريقه .

كانت هناك سيارتان من سيارات الشرطة ، قد ظهرتا بالفعل ، عند نهاية الطريق ، وانحرفتا لتسدان مخرجه جيدًا ، في محاولة لمنع (أدهم) من الفرار ..

ولكن (أدهم) لم يتوقف ..

إنه حتى لم يخفف من سرعته ، وهو يندفع نحو السيارتين كالصاروخ ، فهتف الشرطي الذي يقود إحداهما :

ـ ماهذا بالضبط ؟.. أهو مجنون أم أحمق ؟

ومع نهاية حروف كلماته ، انحرف (أدهم) يمينًا بحركة

(*) (بيكاديلى) : ميدان شهير ، في قلب العاصمة البريطانية ، اشتهر بتجمعات الفنانين وفرق الهيبز ، والمغتربين من كل الجنسيات .

سريعة ، وقفز بسيارته فوق الافريز ، وترك السيارة تحتك بجدار أحد المنازل ، وهو يعبر تلك الفرجة الضيقة ، بين مؤخرة سيارة الشرطة والجدار ..

وصرخ المارة ، عندما نجح (أدهم) فى العبور بسيارته ، من ثقب الإبرة ..

صرخوا فى ذعر وانبهار ، وشهق بعضهم غير مصدق ، مع انطلاق سيارته المتزن ، بعد ذلك العبور المذهل ..

وصرخ مفتش الشرطة فى غضب :

ـ افسحوا الطريق أيها الأغبياء .. لقد تركتموه يتجاوزكم ، وأنتم تعترضون طريقى الآن .

واضطر سائقه إلى التوقف ، حتى اعتدلت سيارتا الشرطة ...

وبدأت المطاردة من جديد ..

وفى هذه المرة ، اتجه (أدهم) نحو أطراف المدينة ، وكأنه يعرف طريقه بالضبط ، فقال مفتش الشرطة فى قلق ، عبر جهاز اللاسلكى :

ـ إلى أين يقودنا هذا الرجل ؟

أجابه أحد رجال الشرطة ، فى السيارتين الأخريين :

ـ إننا نتجه إلى الجسر ، ومنه سنعبر إلى الطريق الدائرى ، وهناك لن يمكننا اللحاق به قط .

هتف المفتش :

ـ لابد وأن نمنعه من بلوغه إذن .. اسمع يارجل .. سنفترق هنا .. أنا سأواصل مطاردته على نحو مباشر ، وأنت وزميلك تتخذان الطريق المختصر ، وتحاولان اعتراض طريقه قبل الجسر .

ثم استطرد فى حدة :

ـ ولا تتبعا الخطة نفسها ، التى اتبعتماها عند الميدان .

قال أحد رجال الشرطة فى ضيق :

ـ سنبذل قصارى جهدنا .

وانفصلت السيارتان عن الركب ، وانطلقتا عبر الطريق المختصر ، وخلفهما عاصفة من الغبار ، فى حين أبدل المفتش موجة الاتصال ، وقال :

ـ هنا المفتش (بلاكى) .. المطاردة تتجه إلى الجسر الشرقى .. اطلبوا رفع الجسر على الفور ، لنقطع الطريق على ذلك الشيطان ..

أما (أدهم) ، فقد لاحظ انحراف السيارتين إلى الطريق الجانبى ، فابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ محاولة جيدة أيها السادة ، ولكن الطريق المختصر يحتاج إلى سرعة كبيرة ، حتى يمكنكم الوصول قبلى إلى الجسر ، ووعورة الطريق ستمنعكما من هذا .

وضغط دوّاسة الوقود أكثر ، على الرغم من أن السيارة تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، ولاح له الجسر من بعيد ، و ..

وفجأة انقض عليه سير (لانسلوت) من المقعد الخلفى ، وأحاط عنقه بذراعه ، وهو يهتف :

ـ انتهت اللعبة أيها المصرى .. (لانسلوت) ربح كالمعتاد .

كانت مبادرة مباغتة بالفعل ، وكفيلة بإرباك أكثر الرجال ثباتًا ..

ولكن ليس (أدهم صبرى) ..

لقد استوعب (أدهم) الموقف فى جزء من الثانية ، فتشبَّث بعجلة القيادة بيمناه ، وأدار يسراه خلف ظهره فى سرعة ومهارة ، فأمسك عنق (لانسلوت) ، وجذبه فى قوة ، قائلًا :

ـ قول سابق لأوانه أيها الوغد .

شعر (لانسلوت) وكأن كلّابة فولاذية أطبقت على عنقه ، وانتزعته من مقعده بقوة خرافية ، فطار جسده إلى المقعد الأمامى ، وارتطم رأسه بزجاج السيارة فى عنف ، قبل أن يسقط فى قاع السيارة ، وهو يصرخ فى ألم غاضب :

ـ لا .. لن تهزمنى بهذه السهولة .

ومن سيارته ، رأى مفتش الشرطة ما يحدث ، فهتف فى حماس :

ـ إنهما يتشاجران .. عظيم .. لقد استعاد النبيل وعيه .. هيا يا رجل .. هاجمه فى قوة .. اضربه بقبضتك .

ولكن فى نفس اللحظة التى نطق فيها هذا ، كانت قبضة (أدهم) تهشّم أنف سير (لانسلوت) ، مع قوله الساخر :

ـ هذا أيضًا قول سابق لأوانه .

تلقّى (لانسلوت) اللكمة ، فتراجع فى عنف ، وارتطم رأسه بالزجاج المجاور له ، ثم ارتدّ مرة أخرى ، فاستقبلته لكمة ثانية من قبضة (أدهم) ، أعادته مرة أخرى إلى حالة فقدان الوعى ..

وعندما اعتدل (أدهم) بعد أن أسقط خصمه ، كانت سيارته تندفع بكل قوتها وسرعتها نحو الجسر ..

وكان الجسر يرتفع من منتصفه ..

ولم يعد التوقف ممكنًا ..

بل ولم تعد النجاة نفسها ممكنة ..

لقد صارت مستحيلة ..

مستحيلة بحق .

* * *

٦ ـ الضربات ..

« سونيا جراهام » ؟!... »

هتف مدير (الموساد) بالاسم فى دهشة بالغة ، قبل أن يعقد حاجبيه فى شدة ، ويستطرد فى اهتمام :

ـ أأنت واثق من هذا يا (موشى) ؟

أومأ (موشى نزرانيلى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كل الثقة يا سيِّدى .. الشواهد كلها تؤكد أن (سونيا جراهام) تعمل لحساب تلك المنظمة الجديدة ، المعروفة باسم (سناك) ، إن لم تكن تحتل موقعًا قياديًا هامًا فيها .

مطَّ المدير شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ يا للخائنة الحقيرة .

ثم سأل فى اهتمام أكثر :

ـ وهل جمعت تحريات كافية حول تلك المنظمة ؟

أجابه (موشى) :

ـ لقد اتصلت بمزيدينا فى (الكونجرس)(*) ، وأجرى

(*) الكونجرس : السلطة التشريعية ، فى الحكومة الاتحادية للولايات المتحدة الأمريكية .. تأسَّس عام ١٧٨٩ م ، بمقتضى المادة الأولى من دستور الولايات المتحدة ، ويتكوَّن من مجلسين .. مجلس الشيوخ ، ومجلس النوَّاب .

رجال مكتبنا فى نيويورك تحرياتهم الخاصة ، وتوصَّلوا إلى أن (تونى بورساليتو) هذا مجرَّد مهاجر أوروبى ، عمل طويلًا فى بورصة الأوراق الماليـة (*) وأفلس مرتين على الأقل ، ثم اختفى لعام أو عامين من عالم رجال المال والأعمال ، ليظهر فجأة منذ فترة ليست بالطويلة ، ويرأس مجلس إدارة شركة الإليكترونيات الكبرى فى (نيويورك) .

سأله المدير :

ـ وكيف أمكنه ابتياع شركة ضخمة كهذه ؟

هزَّ (موشى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا ما يبدو ظاهريًا ، ولكن البحث الدقيق أكَّد أنه ليس مالك الشركة ، وإنما رئيس إدارتها فحسب .

بدا اهتمام مشوب بالشك ، على وجه المدير ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. المفروض أن مالك الشركة هو الذى يرأس مجلس إدارتها فى المعتاد .

لوَّح (موشى) بسبَّابته ، قائلًا :

(*) بورصة الأوراق المالية : سوق يتم التعامل فيها على الأوراق المالية حيث يلتقى البائعون والمشترون ، لتبادل سلعة متماثلة الوحدات ، معروفة الأوصاف ، كالقطن ، والسنـدات ، والأسهم ، والأوراق المالية .

هذا الأمر يعنى الكثير يا سيدى .. وربما يعنى أننا قد أمسكنا طرف الخيط ، الذى يقودنا إلى قلب منظمة (سناك) الجديدة .

تراجع المدير فى مقعده ، وقال :

- ويعنى أيضًا أنه من الضرورى أن نتحرك فى سرعة ، قبل أن يسبقنا المصريون إليها .

انعقد حاجبا (موشى) فى شدة ، فور ذكر اسم المصريين ، وقال فى شىء من الحدة :

- وما شأن المصريين بهذا ؟

دفع إليه المدير عددًا من التقارير الموضوعة أمامه ، وهو يقول :

- من الواضح أنك لم تتابع التقارير الواردة من (أمريكا) ، فى الآونة الأخيرة .. هناك مصرى أصاب نصف (نيويورك) بالجنون ، منذ الصباح وحتى الآن ونجح فى الفرار وحده من إدارة الشرطة ، بعد أن نسف ثلثيها على الأقل ، ولا أحد يعلم أين هو الآن .

ازداد انعقاد حاجبى (موشى) فى شدة ، وهو يقول فى مقت واضح :

- (أدهم صبرى) .

تطلع إليه المدير لحظة فى صمت ، ثم قال :

- من الواضح أنك تكن له بغضًا شديدًا ، بسبب ما فعله بك ، عندما ألقينا القبض عليه هنا(*) .

تألقت عينا (موشى) فى غضب ، لم يلبث أن ذاب وسط ملامحه الجليدية الباردة ، وهو يقول :

- أعتقد أن أفضل ما يمكن عمله ، هو أن أسافر فورًا إلى (أمريكا) .

تأمله المدير لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

- هذا صحيح ، ولكن تذكر دائمًا أنها ليست عملية ثأرية شخصية .. إنها مهمة عمل .. ومهم بالغة الخطورة .. إنك تسعى خلف منظمة (سناك) ، وليس خلف (أدهم صبرى) .

قال (موشى) فى برود عجيب :

- أعلم هذا .

ثم عادت عيناه تتألقان ، وهو يستطرد :

- ولكن عندما تنتهى المهمة ، لن نعود أنا و (أدهم صبرى) سالمين .. سيعود أحدنا على الأقل داخل صندوق بارد .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- أو كلانا .

(*) راجع قصة (أرض العدو) .. المغامرة رقم ٩٣

وغادر حجرة المدير فى برود مخيف ..
برود قاتل ..

★ ★ ★

ماذا تفعل ، لو أنك فى موقف (أدهم صبرى) ؟..
الشرطة البريطانية تطاردك ، وغريمك اللدود فاقد الوعى ، على قيد سنتيمترات منك ، ويمكنه أن يستعيد وعيه فى أية لحظة ، وسيارتك تنطلق بأقصى سرعة ، نحو جسر انقسم من منتصفه تمامًا ، وراح كل من نصفيه يرتفع مبتعدًا عن الآخر ..

ربما تتحرّك قدمك على نحو غريزى ، فتضغط دوّاسة الفرامل لتخفيف السرعة ، وتدير يداك عجلة القيادة فى لهفة ، لتفادى الاندفاع خلف الجسر .

هذا ما ستمليه عليك غريزة البقاء ، الكامنة فى أعماق كل كائن حى فى الوجود ..

ولكن (أدهم) لم يفعل هذا ..

لقد اعتدل فى مقعده جيدًا ، وقبض على عجلة القيادة بيد من فولاذ ، وضغط دوّاسة الوقود أكثر ، وكأنه يطالب السيارة بتجاوز سرعتها القصوى استجابة له ، و ...

وعبر الجسر ..

عبره صاعدًا بأقصى سرعته ، حتى بلغ النصف المرتفع منه ، وصرخ مفتش الشرطة :

ـ ماذا سيفعل هذا المجنون ؟.. إنه يقتل نفسه .

ولكن (أدهم) وثب بالسيارة ، عبر نصف الجسر المفتوح ..

واحتبست الأنفاس كلها فى ذهول منبهر ، والسيارة تطير المسافة الخالية ، بين نصفى الجسر ، ثم تبدأ رحلة الهبوط نحو النصف الآخر للجسر ..

وانتفض جسد المفتش ، عندما رأى السيارة تهبط فى عنف ، وإطاراتها تُطلق صريرًا مخيفًا ، مع انزلاقها البالغ الخطورة ، والذى كاد يعرِّضها للانقلاب ، لولا سيطرة (أدهم) الخرافية على عجلة القيادة ..

وفى ذهول ، هتف المفتش ، وسائقه يضغط فرامل سيارته فى قوة ، قبل أن تبلغ الجسر :

ـ لقد فعلها !.. هل تصدّق هذا ؟.. لقد فعلها .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفجر الإطار الأمامى الأيسر لسيارة (أدهم) ، ودوى انفجاره كقنبلة مكتومة فى المكان ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارتا الشرطة من الطريق المختصر ..

وأمام أعين الجميع ، دارت سيارة (أدهم) حول نفسها فى عنف ، وصرخت إطاراتها أعلى وأكثر ..

ثم انقلبت على جانبها ..

انقلبت وراحت تزحف طويلًا ، قبل أن تستقر أرضًا ، فى منتصف الطريق تمامًا ، وإطاراها العلويان يدوران فى عنف ..

وهتف رجال الشرطة فى انفعال :

ـ دعوا الحارس يخفض الجسر .. إنها فرصة مثالية .. لقد أوقعنا ذلك الرجل .. أسرعوا قبل أن يفر .

بدأ الحارس عملية خفض الجسر بالفعل ، فى حين دفع (أدهم) جسده خارج السيارة ، من النافذة العليا ، وجذب إليه جسد (لانسلوت) فى قوة ، وهو يقول :

ـ هيا أيها الوغد .. لقد خسرنا هذه الجولة ، بسبب رداءة إطارات السيارة ، ولو لم نسرع بالابتعاد ، سنخسر المباراة كلها .

جذب جسد (لانسلوت) ، الفاقد الوعى ، خارج السيارة المقلوبة ، وحمله على كتفيه ، وهو يدير عينيه فى المكان ، بحثًا عن وسيلة لمواصلة الفرار ، فى حين راح الجسر ينخفض أكثر وأكثر ، وسيارات الشرطة الثلاث تستعد لعبوره ، ومواصلة المطاردة ..

ولم تكن هناك وسيلة مواصلات واحدة قريبة ..

ولكن (أدهم) لم يتوقَّف ..

لقد انحرف عن الطريق الممهد ، وانطلق بحمله وسط

غابة كثيفة ، على جانب الطريق ، وراح يعدو عبرها بأقصى سرعته ..

والتقى نصفا الجسر ..

وعاود رجال الشرطة المطاردة ..

وبمجرَّد عبورهم الجسر ، هتف المفتش :

ـ لقد رأيته يلج تلك الغابة .

قال أحد رجال الشرطة فى قلق :

ـ ولكن السيارات لن يمكنها ولوج الغابة .

صاح به المفتش فى غضب :

ـ أوقف السيارات إذن وطاردوه على الأقدام .

أطاعوه على الفور ، وأوقفوا سياراتهم ، وانطلق أربعة من رجال الشرطة البريطانيين على أقدامهم ، وهم يمسكون مسدساتهم ، لمطاردة (أدهم) عبر الدغل . وقطع (أدهم) الطريق بأقصى سرعة سمحت بها قدماه ، مع الرضوض التى تملأ جسده ، من جراء انقلاب السيارة ، وجسد (لانسلوت) الذى يحمله ..

ومن خلفه ، بدا وقع أقدام رجال الشرطة واضحًا ..

كان يعدون خلفه بسرعة كبيرة ، حتى أنهم يقتربون منه ، بأسرع مما يبتعد هو عنهم ..

وفور إدراكه لهذه الحقيقة ، توقَّف (أدهم) عن



لقد انحرف عن الطريق الممهّد ، وانطلق بحمله وسط غابة كثيفة ، على جانب الطريق ، وراح يعدو عبرها بأقصى سرعته .

الابتعاد ، ووضع جسد (لانسلوت) إلى جوار إحدى الأشجار ، وهو يقول :

ـ يبدو أنه لا مفر من هذا أيها الوغد .. ستنتظرنى هنا ، حتى أنتهى من أمر المطاردين ، وأعود إليك .

قالها وتحرّك فى خفة ، مبتعدًا عن المكان ، وفى هذا الوقت قال أحد رجال الشرطة لزملائه الثلاثة :

ـ المكان ضخم للغاية ، ويمكن لهذا الشيطان أن يختفى خلف أية شجرة هنا .

سأله زميله :

ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ؟

توقّف الشرطى ليقول :

ـ أفضل ما يمكننا فعله ، هو أن ننقسم إلى فريقين ، ويتحرّك كل فريق منا فى اتجاه ، و ..

قاطعه فجأة صوت ساخر ، يقول :

ـ لا داعى لهذا .

استدار رجال الشرطة الأربعة فى دهشة وفزع ، وبدا لهم المكان كله خاليًا ، فهتف أحدهم ، ومسدسه متحفز بين أصابعه :

ـ من قال هذا ؟

أجابه زميله فى توتّر :

- إنه ليس شبحًا بالتأكيد ، على الرغم من أن المنطقة خالية ، و .

أتاهم ذلك الصوت مرة ثانية ، قائلًا بنفس اللهجة الساخرة :

- أأنت واثق من هذا ؟

وفي هذه المرة ، ميّز الأربعة موضع الصوت ، ورفعوا رءوسهم إلى أعلى ، و ..

وانقضّ عليهم (أدهم) ، من فوق شجرة قريبة ..

وفي تقريرهم الرسمي ، الذي قدموه فيما بعد ، في دائرة الشرطة ، لم يستطع أحدهم وصف ما حدث بعد هذه الانقضاضة بالتفصيل ..

الأمر الوحيد ، الذي اتفقوا عليه ، هو أنهم رأوا (أدهم) ينقضّ عليهم ، ثم شعروا بمطارق فولاذية تهوى على فكوكهم وأنوفهم ، وتغوص في أمعائهم ، وأن قوة عجيبة انتزعت مسدساتهم ، وألقتها بعيدًا ، قبل أن يلقيهم خلفها فاقدي الوعي ..

واحد منهم فقط ، قال : إنه حاول أن يطلق النار ، ولكن (أدهم) وثب نحوه ، ودار حول نفسه على نحو مبهر ، بالغ الخفة والرشاقة ، وأطاح بمسدسه بركلة متقنة قوية ، قبل أن يهوى على معدته بلكمة كالقنبلة ، أعقبها بأخرى كالصاعقة ، في أنفه مباشرة ..

أما (أدهم) نفسه ، فقد أنهى القتال في لحظة واحدة تقريبًا ، ثم اعتدل قائلًا :

- تقبّلوا أسفي أيها السادة .. لقد اضطررت لقتالكم ، على الرغم من أننا نعمل في الواقع في الفريق نفسه ، فكل منا يسعى خلف العدل والحقيقة ، ولكن من العسير عليكم أن تتفهّموا موقفي ، ومن المستحيل أن أشرحه لكم .

وقلب كفيه ، مستطردًا في أسف :

- إنها الحياة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تناهت إلى مسامعه صرخة امرأة مذعورة ، ممتزجة بصهيل جواد ، فهتف :

- ماهذا بالضبط ؟

وعاد أدراجه عدوًا ، إلى حيث ترك (لانسلوت) ، وانعقد حاجباه في شدة ، عندما لم يجده في موضعه ، وغمغم :

- لقد استعاد الوغد وعيه .

قالها وواصل طريقه بسرعة إلى مصدر الصوت ..

وفي طريق ترابي ضيق ، رأى سيدة إنجليزية أنيقة ، تمتطي جوادًا أسود ، وإلى جوارها أخرى ملقاة أرضًا ، تصرخ في غضب :

- ذلك الحقير سرق جوادي وهرب به .

والتفتت إلى (أدهم) ، قائلة :

- الحق به أيها السيد .. أوقفه .

تطلع (أدهم) فى اهتمام إلى جواد (لانسلوت) ، الذى يعدو به راكبه مبتعدًا ، وقال وهو يتجه بسرعة إلى الجواد الآخر :

- على الرحب والسعة .

وارتفع حاجبا المرأة الأخرى فى دهشة بالغة ، عندما حملها على متن جوادها فى خفة ويسر ، وهو يقول :

- اسمحى لى يا سيدتى .

ثم شهقت مبهورة ، مع تلك الوثبة المدهشة ، التى اعتلى بها ظهر الجواد ، وجذب عنانه هاتفًا :

- هيا أيها الجواد الأصيل .. الحق به .

أطلق الجواد صهيلًا رائعًا ، وكأنما يعلن خضوعه لفارسه ، وثقته المطلقة فى قيادته ، ثم انطلق خلف جواد (لانسلوت) ، والمرأة تهتف بأنفاس لاهثة :

- إنه فارس حقيقى .. فارس رائع .

قالت الأخرى ، وهى تنهض مبهورة :

- ووسيم .

أما (أدهم) نفسه ، فراح يحث جواده على الإسراع ، خلف جواد (لانسلوت) ، وهو يقول له :

- هيا يا صديقى .. دعنا نلحق بذلك المغرور ، ونثبت له أن العرب هم أعظم الفرسان ، فى كل زمان ومكان هيا .

ولكن جواد (لانسلوت) كان قويًا بحق ، كما كان هذا الأخير شديد الانفعال والغضب يهتف فى شماتة :

- لن تلحق بى أبدًا أيها المصرى .. أنت لا تعرف (لانسلوت) .. أنا أفضل فارس ، فى انجلترا كلها .

انطلقا يطاردان بعضهما البعض فى إصرار ، حتى بلغ الطريق الرئيسى ، فهتف (لانسلوت) ، وهو يندفع إليه :

- ها هو ذا أخيرًا .. دقائق وأجد عشرات من رجال الشرطة لحمايتى أيها العربى .. لقد خسرت هذا السباق .. خسرته تمامًا .

وجذب عنان جواده ، وهو يلكزه فى معدته بقوة ، فوثب الجواد إلى الطريق ، ثم تجاوزه بوثبة أخرى أنيقة ، إلى الجانب الآخر ، حيث سهل ممتد ، ينتهى بأطراف المدينة ..

ومن خلفه هتف (أدهم) بجواده :

- لا تسمح له بهذا أيها الصديق .. تعاون معى جيدًا ، فأنا (أدهم) ، وأنت (أدهم)(*) .. وهذا يجعلنا صديقين .. أليس كذلك ؟

انطلق الجواد مطيعًا نحو الطريق الممهد ، وعينا

(*) أدهم : كلمة عربية ، تعنى شديد السواد .

(أدهم) تتابعان (لانسلوت) ، الذى يقطع السهل بجواده ، وهو ينهب الأرض نهبًا ..

ولكز (أدهم) جواده لعبور الطريق ..

واندفع الجواد نحو الطريق ..

وفجأة ظهرت تلك السيارة (البورش) المسرعة ، وهى تقطع الطريق كالسهم ..

وأطلق جواد (أدهم) صهيلًا عاليًا ، وكأنه يسأل صاحبه المشورة ، ولكن ..

لم يكن التوقف فى الوقت المناسب ممكنًا ..

لم يكن كذلك أبدًا .

* * *



٧ ـ رجل .. وطائرة ..

سعل رجل المخابرات البريطانى (ريتشارد أكسيل) فى خفوت ، لينبه رئيسه ، الذى انهمك فى مراجعة عدد من التقارير الدورية ، فرفع الرئيس عينيه عن التقارير ، وتطلع إلى (أكسيل) لحظة ، قبل أن يعتدل قائلًا :

ـ لقد طلبت مقابلتى يا (ريتشارد) .

تنحنح (أكسيل) ، وقال فى هدوء :

ـ لقد تلقينا إشارة استغاثة من (مور) ، الخادم والحارس الخاص لسير (لانسلوت) ، وهو يقول : إن جاسوسًا اختطف سيده ، ويطالبنا بالتدخل لإنقاذه .

مطّ رئيسه شفتيه ، وقال :

ـ ولماذا لم يتصل بالشرطة ؟

هزّ (أكسيل) كتفيه ، وقال :

ـ من المؤكد أنه وجد الاتصال بنا أكثر فائدة .

عاد رئيسه يمطّ شفتيه ، وينهمك فى التفكير لحظة ، ثم قال :

ـ ولكن (لانسلوت) لم يعد يعمل معنا .

قال (أكسيل) في هدوء :
ـ ولكن لديه من أسرارنا ما يجعله شخصًا شديد الأهمية ، ويستحق عملية إنقاذ كبرى من الفئة (أ) .
أومأ الرئيس برأسه موافقًا ، وقال :
ـ هذا صحيح .. خذ هذه العملية يا (ريتشارد) ، وحاول أن تنهيها بسرعة ، وعلى نحو نظيف ، حتى لا نضطر لتبرير موقفنا في البرلمان ..
سأله (أكسيل) :
ـ هل أستعين بطائرة هليوكوبتر ؟
أجابه في حسم :
ـ بالتأكيد ، ولكن احرص على ألا تتلفها .. إنها عهدة حكومية .. لا تنس هذا قط .
سأله (أكسيل) في اهتمام :
ـ وماذا عن ذلك الجاسوس ، الذي اختطف (لانسلوت) ؟
هزّ الرئيس كتفيه ، وقال :
ـ دعنا نكتفي بإنقاذ رجلنا السابق .. إنني أكره كتابة التقارير ومراجعة محاضر التحقيقات ، من أجل عملية جاسوسية محدودة .
ارتسمت على شفتي (أكسيل) ابتسامة جذلة ، وهو يقول :

ـ هل تعني أن ... ؟
قاطعه رئيسه ، وهو يلوّح بيده ، قائلًا في ضجر :
ـ نعم يا (ريتشارد) .. هذا ما أعنيه .. انقذ (لانسلوت) ، وتخلّص من ذلك الجاسوس على الفور .. هل تحتاج لتوضيح أكثر ؟
اتسعت ابتسامة (أكسيل) ، وهو يقول :
ـ كلا يا سيّدي .. هذا يكفيني .
وغادر الحجرة ، وهو يحمل أمرًا صريحًا بالقتل .. قتل (أدهم صبري) ..

* * *

لمح (لانسلوت) بطرف عينه تلك السيارة (البورش) ، وهي تعبر الطريق بسرعة ، وأدرك من النظرة الأولى ، وبحسابات عقلية سريعة ، اعتادها ويجيدها كل من عمل في أي جهاز مخابرات في العالم ، أنها ستعوق طريق جواد (أدهم) ، وربما صدمته في مسارها ، وأطاحت به وبراكبه في لحظة واحدة ..
وبمزيج من الشغف والشماتة واللهفة ، جذب (لانسلوت) عنان جواده ، وأوقفه ، واستدار به حتى لا يفوته المشهد الرهيب ..
وفي داخل (البورش) نفسها ، لمح قائدها الجواد ، وأدرك أنه سيرتطم به لا محالة ، فصرخ في هلع :

ـ ربّاه !.. سنرتطم به .

وأطلقت زوجته صرخة ذعر، وهى تخفى وجهها بكفيها، فى حين برقت عينا (لانسلوت) فى شدة، وانطلقت فى أعماقه ضحكة ساخرة شامتة، و ...

وتوقّفت الضحكة بغتة ..

توقّفت لتتحول إلى صرخة أشبه بالقنبلة، انفجرت فى عقله وحده، مع رؤيته لما فعله (أدهم) فى اللحظة التالية ..

وكان المشهد مبهرًا بحق ..

فبدلا من أن يجذب (أدهم) عنان جواده، ويحاول إيقافه، قبل أن تبلغه (البورش) المسرعة، لكز الجواد بقدميه فى بطنه، وهو يدفعه على نحو فنى مدروس، هاتفًا :

ـ هيّا .. افعلها يا صديقى ..

واستجابة لتوجيهات فارسه، وبطاعة منقطعة النظير، رفع الجواد قائمتيه الأماميتين، ووثب وثبة رائعة، ليعبر السيارة (البورش)، فى نفس لحظة التقائهما ..

واتسعت عيون الجميع فى انبهار ..

قائد (البورش)، ومزارع عجوز، و (لانسلوت) نفسه ..

ولكن الأخير وحده، نجح فى انتزاع نفسه من دهشته البالغة بسرعة خرافية، وجذب عنان جواده مرة أخرى، وهو يهتف :

ـ اللعنة !.. لقد نجا .

إلا أن ذلك الانتظار كلّفه الكثير ..

والكثير جدًا ..

لقد وثب (أدهم) بجواده فوق (البورش)، وواصل الانطلاق به بأقصى سرعة، لمطاردة (لانسلوت)، الذى أضاع تلك اللحظات الثمينة، مما سمح لـ (أدهم) باللحاق به، وهو يهتف ساخرًا :

ـ ها نحن أولاء قد التقينا مرة أخرى يا عزيزى (لانسلوت) .

راح (لانسلوت) يلكز جواده فى قوة وعصبية، فى محاولة للفرار من (أدهم)، إلا أن هذا الأخير تخلّى عن جواده، ووثب وثبة رائعة مدهشة، ليحيط وسط (لانسلوت) بذراعيه، ويسقطه معه عن جواده، مستطردًا :

ـ لماذا العجلة يا صديقى ؟.. دعنا نتسامر أوّلا .

سقط الاثنان أرضًا فى عنف، وتدحرجا بعض الوقت، ثم هبّ (لانسلوت) واقفًا، وهو يصرخ :

ـ لو أنك تتصوَّر أنك ستقاتل غرًا ساذجًا ، فأنت واهم .. أنا رجل مخابرات سابق .

وثب (أدهم) فى رشاقة ، وركله فى أنفه مباشرة ، وهو يقول :

ـ يا للمصادفة !.. وأنا رجل مخابرات حالى .

تراجع (لانسلوت) مع الضربة ، ودمعت عيناه من أثرها ، فعجز عن الرؤية لحظة ، عاجله (أدهم) خلالها بلكمة كالقنبلة فى فكه ، وهو يقول :

ـ وهناك فارق كبير بين الحالتين يا رجل .

ثم أعقب لكمته بأخرى كالصاعقة ، أسقطت (لانسلوت) فاقد الوعى للمرة الثالثة ، فانحنى (أدهم) يحمله ، مستطردًا :

ـ والفارق هو أن المران المستمر أمر حتمى للانتصار فى عالمنا هذا .

كان الجواد قد توقَّف ، فور وثوب (أدهم) عن متنه ، فاتجه إليه هذا الأخير ، وألقى جسد (لانسلوت) على ظهره ، واتجه به فى هدوء إلى فجوة ضخمة عميقة ، وسط السهل الممتد أمامه ، تطل عليها شجرة قوية ، وراح يربط جسد (لانسلوت) من قدميه ، فى غصن الشجرة القوى ، بحيث يتدلَّى رأسه داخل الحفرة العميقة ، ولم يكد ينتهى ، حتى تأوَّه (لانسلوت) ، وقال :



وألقى جسد (لانسلوت) على ظهره ، واتجه به فى هدوء إلى فجوة ضخمة عميقة ..

- يا للشيطان !.. ماذا حدث ؟.. أشعر باحتقان فى وجهى .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- ربما لأنك تنظر إلى العالم من زاوية عسيرة بعض الشىء أيها الوغد .

انتبه (لانسلوت) فجأة إلى وضعه هذا ، فهتف :

- ما الذى فعلته بى بالضبط ؟

قال (أدهم) فى برود :

- خطأ يا صديقى ، سلنى : ما الذى أنوى فعله بك بالضبط ، فالواقع أننى رجل قليل الصبر ، يروق لى أحيانًا أن أنهى عملياتى بشكل سريع أنيق ، ولقد سئمت لعبة القط والفأر هذه ، ورأيت أن نحسم الأمور بشكل لا يقبل الجدل هذه المرة .

وانحنى نحو الفجوة ، مستطردًا فى صرامة :

- فإما أن تخبرنى من هى (جوان) هذه ، وكيف يمكننى العثور عليها ، أو أقطع الحبل الذى يربطك إلى الشجرة ، وأترك جسدك يهوى داخل تلك الفجوة ، بكل ما تحويه من نتوءات حادة قاتلة .

شعر (لانسلوت) بخوف حقيقى ، وهو يتطلع إلى تلك البروزات الرهيبة ، فى قاع الفجوة ، ولكنه حاول كتمان خوفه ، وهو يقول :

- إنك لن تفعل هذا .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى برود مخيف :

- لِمَ لا تختبر هذا بنفسك ؟

ثم مال نحوه ، مستطردًا بنفس الصرامة .

- لاتخدع نفسك أيها الوغد .. أنت تعلم أن كلينا محترف ، وفي عالمنا ، ليس من حقك التنازل عن النصر ، لأنك مرهف الحس .. وبالنسبة لى ، لست سوى وسيلة للحصول على معلومات جيدة ومفيدة ، فإما أن أحصل عليها منك ، أو أقتلك بلا تردد .. أليس هذا بالضبط ما ستفعله أنت ، لو كنت مكانى ؟

وكانت هذه العبارة الأخيرة هى بالتحديد ، الوتر الذى يعزف عليه (أدهم) ..

إنه يعلم جيدًا أن (لانسلوت) ماكان ليتردد فى قتله بلا رحمة ، لو تبادلا الأدوار ، وأن طبيعته هذه تمنعه حتمًا ، من إدراك أن (أدهم) يختلف عنه تمامًا ، فى هذه النقطة بالذات ..

وهذا ما سيملأ نفسه بالخوف والرهبة ..

وفى حزم صارم ، اعتدل (أدهم) فى وقفته ، وقال :

- من هى (جوان) هذه ؟.. وأين تقيم ؟

صاح (لانسلوت) فى عصبية :

- اذهب إلى الجحيم .. إنك لن تحصل منى على حرف واحد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

- ليس فى نيتى الذهاب إلى الجحيم الآن ، ولا فى أى وقت آخر يا هذا .

ثم حلّ طرف الحبل من الشجرة بجذبة قوية ، وهو يستطرد :

- ولكننى سأرسلك إليه على الفور .

انطلقت من حلق (لانسلوت) صرخة رعب هائلة ، وجسده يهوى داخل الفجوة ، نحو الأطراف الحادة القاتلة فى قاعها :

- لا .. لا .

ولكن فجأة ، قبضت أصابع من فولاذ على قدميه ، ومنعت سقوطه فى اللحظة الأخيرة ، مع صوت (أدهم) الصارم المخيف ، وهو يقول :

- هل راقت لك التجربة ؟

كان جسد (لانسلوت) يرتجف فى شدة ، وكل الدماء احتقنت فى وجهه ، بعد أن رأى الموت بعينيه ، منذ ثانية واحدة ، فهتف دون تفكير :

- ما الذى تريد معرفته ؟

قال (أدهم) بلهجته الصارمة القاسية ، التى تجمّد الدماء فى العروق :

- من هى (جوان) ؟.. وأين يمكننى العثور عليها ؟

قال (لانسلوت) بسرعة ، وهو يلهث فى شدة :

- اسمها (جوان آثر) .. سيّدة أعمال أمريكية ، ومليونيرة مجتمع ، وتقيم فى قصر منيف ، فى ضواحى (نيويورك) ، وهى فاتنة ، وباهرة الحسن والجمال .

سأله (أدهم) :

- وما علاقتها بمنظمة (سناك) ؟

أجابه (لانسلوت) فى مرارة :

- إنها الزعيمة .

تفجّر الجواب فى أذنى (أدهم) واندلعت نيرانه فى عقله وقلبه فى آن واحد ..

إذن فـ (سونيا جراهام) هى الزعيمة ..

هى رأس (سناك) ..

يا لها من أفعى حقيقية !..

أفعى تحتضن ابنه ، وتُنشئه معها فى عالم قذر ، من الدسائس والمؤامرات والخيانة والخداع ..

فى مستنقع بشرى رهيب ..

وفى رعب ، صاح (لانسلوت) ، منتزعًا (أدهم) من أفكاره :

- لقد أخبرتك بكل ما لدى .. أقسم لك .. لا تتركنى هكذا .. هنا .

تطلّع إليه (أدهم) لحظة ، ثم دفعه فى قوة إلى حافة الفجوة ، وألقاه فوق العشب الأخضر المحيط بها ، وهو يقول فى صرامة :

- فليكن .. أنت بعيد عن الموت مؤقتًا ، ولكن حديثنا لم ينته بعد .

تطلّع (لانسلوت) إلى السماء ، وبدا شىء من الارتياح فى لهاثه ، وهو يغمغم :

- كلّا .. أظنه قد انتهى عمليًا .

ومع آخر حروف كلماته ، التقطت أذنا (أدهم) أزيز الهليوكوبتر ، التى تقترب فى سرعة ، واستدار يتطلّع إليها معقود الحاجبين ، فى حين أطلق (لانسلوت) ضحكة عصبية لاهثة ، وهو يقول :

- لقد حضر الرفاق فى الموعد المناسب .

وفى الهليوكوبتر ، خفض (أكسيل) منظاره المقرّب عن عينيه ، وقال للطيار :

- ها هما ذان .. (لانسلوت) والجاسوس .

قال الطيّار فى هدوء من اعتاد مثل هذه المطاردات :

- عظيم .. لقد أفادتنا التقارير فى العثور عليهما بسرعة .. والآن ليس أمامنا سوى تنفيذ الخطة .. سننقذ (لانسلوت) ، ثم نقتل الجاسوس ، و ...

قاطعه (أكسيل) بابتسامة وسيمة :

- (لانسلوت) سيبقى طويلًا يا صديقى .. الأسلوب الأمثل هو أن نعكس الترتيب .. فلنقتل الجاسوس أوّلًا ، ثم نستعيد رفيقنا السابق .

ابتسم الطيّار بدوره ، وقال :

- فليكن .. هذا أكثر حكمة .

قالها ، وهو ينخفض بالهليوكوبتر ، وينقضّ بها على (أدهم) ، الذى تعرّف طراز الهليوكوبتر من النظرة الأولى ، وأدرك أنها مزوّدة بمدفعين آليين ، فأمسك (لانسلوت) من ياقته ، وجذبه فى قوة ، ليجبره على الوقوف ، وانتزع مسدسًا من جيبه ، ألصق فوهته بصدغ (لانسلوت) ، ولكن هذا الأخير أطلق ضحكة عصبية ، وقال :

- لو أنك تتصوّر أن هذا سيوقفهم ، فأنت مخطئ يا رجل .. أنا أعلم من هؤلاء .. إنهم ليسوا من رجال الشرطة ، كما قد تتصوّر ، بل هم زملائى السابقون فى المكتب الخامس ، فتعليماتى لـ (مور) أن يتصل بهم فور

تعرضى للخطر ، وهم يهرعون إلى هنا ليس لإنقاذ حياتى ، ولكن لمنعك من الحصول على ما لدى من أسرار ، ونظرًا لأننى عضو مخابرات سابق ، ولم تعد لى فائدة حاليًا ، فتهديدك بقتلى لن يوقفهم ، وإنما سيدفعهم إلى قتلنا معًا ؛ لأن هذا أكثر ضمانًا لعدم تسرب الأسرار .

قالها ، وعاد يطلق ضحكة عصبية شامتة ، وطيار الهليوكوبتر يسأل (أكسيل) :

ـ إنه يهدد (لانسلوت) .. ماذا سنفعل ؟

هز (أكسيل) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـ أطلق بضع رصاصات للتحذير ، وبعدها إما أن يترك (لانسلوت) ، فنقتله وحده ، أو يتشبث به ، فنرسلهما فى طرد واحد إلى الجحيم .

أطلق الطيار ضحكة مرحة ، وكأنما قال (أكسيل) دعابة طريفة ، ثم ضغط زر الإطلاق ، فى عصا القيادة ..

وانطلقت الرصاصات ..

انطلقت فى شريط متصل ، على مسافة نصف المتر من (أدهم) و (لانسلوت) ، فجفل الجوادان ، وأطلقا صهيلًا قويًا ، امتزج بصرخة (لانسلوت) :

ـ هل رأيت ؟

وأدرك (أدهم) أن (لانسلوت) كان على حق ، وأن رفاقه لن يترددوا فى قتله دون رحمة ، ما دام هذا يحفظ أسرارهم ، الذين يتصورون أنه اختطف رجلهم السابق من أجلها ، فدفع (لانسلوت) بعيدًا فى عنف ، وانطلق يعدو نحو الجواد الأسود بأقصى سرعة ..

وفى الهليوكوبتر ، مط (أكسيل) شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ـ لقد ترك (لانسلوت) .

غمغم الطيار ساخرًا :

ـ يا للخسارة !

ثم اندفع خلف (أدهم) ، مستطردًا فى جذل :

ـ ولكننا سنظفر بأحدهما على الأقل .

وأطلق رصاصات الهليوكوبتر مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، أصابت الرصاصات الأرض ، خلف قدمى (أدهم) بسنتيمترات قليلة ، قبل أن يثب على متن الجواد ، هاتفًا :

ـ هيا يا صديقى .. مهمتك شاقة هذه المرة .

أطلق الجواد صهيلًا عصبيًا هذه المرة ، ولكنه أطاع فارسه ، وانطلق بكل قوته نحو المدينة ، التى بدت أبعد من الواقع كثيرًا ، و (لانسلوت) يصرخ كالمجنون ، وهو يقاوم قيوده فى شراسة :

- اقتلوه .. اقتلوه يا رفاق .

وقال (أكسيل) فى سخرية :

- ما الذى يفعله هذا الساذج ؟.. هل يتصوَّر أنه سيسبق هليوكوبتر كهذه بجواد عادى ؟

ثم لكز الطيَّار ، مستطردًا فى مرح :

- دعنا نثبت له أنه أحمق يا رجل .

ابتسم الطيَّار ، وقال :

- عشرة جنيهات على أننى أستطيع إصابته فى منتصف ظهره مباشرة .

قال (أكسيل) :

- اجعلها عشرين جنيهًا ، وأطلق النار على منتصف رأسه .

هتف الطيَّار :

- فليكن .. إنه أسهل رهان ربحته فى حياتى .

وانخفض بالهليوكوبتر فى مهارة ، ثم اندفع بمحاذاة الأرض نحو (أدهم) ، وقال ساخرًا :

- قل وداعًا للحياة أيها الجاسوس .

وأكدت له شاشته أنه يصوِّب نحو منتصف رأس (أدهم) تمامًا ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وكتم أنفاسه ، و...

وضغط الزناد .

* * *

٨ - مذاق الدم ..

أطلت نظرة حانية من عينى المربية ، وهى تتحسَّس شعر الصغير فى رقة ، فابتسم لها فى سعادة ، وراح يضحك فى مرح ، وهى تداعبه ، قبل أن تغمغم فى أسى :

- مسكين أنت يا صغيرى .. روحك البريئة لا تجد من يُشبعها ، فأمك تتجاهلك ، وتقضى معك أقل القليل من الوقت ، وتتحدَّث معك دومًا عن مقتها لوالدك ، ورغبتها فى الانتقام منه ، وكأنما تلوِّث فطرتك السوية بمذاق الدم الوحشى .

ثم ضمَّته إلى صدرها فى حنان ، متابعة :

- لماذا كان القدر قاسيًا ، فمنحك أمًّا كهذه ؟.. وكيف اختارها والدك ؟

تطلَّع إليها الصغير فى حيرة ، ثم عاد يبتسم ، وكأنه يدعوها لمعاودة المداعبة ، ولكنها تنهَّدت فى حزن ، وهى تتابع :

- لو أن الأمر بيدى ، لحملتك ورحلت عن هنا ، ولما تركتك بين يدى تلك المتوحِّشة قط .. إنها تسعى لتحويلك إلى وحش مفترس ، يبغض أباه ويمقته ، وربما يسعى فى المستقبل لقتله ، أو ...

قاطعها صوت قاس ، يقول :

- إذن فأنت تتجسسين علىّ .

انتفضت المربية فى ارتياع ، واستدارت إلى (سونيا) فى ذعر ، وهى تضمّ إليها الصغير فى قوة ، جعلته يطلق صرخة دهشة وألم ، والمربية تهتف :

- سيدتى .. إننى ...

قاطعتها (سونيا) فى صرامة :

- أنت خائنة قذرة .

ثم انتزعت منها الطفل فى عنف ، هاتفة :

- اتركى ولدى .

صرخ الصغير فى فزع ، مع تلك الانتزاعة القاسية ، وانفجر باكيًا فى قوة ، وهو يمدّ يديه الصغيرتين إلى مربيته ، وكأنما يستنجد بها ، ولكن (سونيا) دفعته فى غلظة إلى واحدة من خادماتها ، قائلة :

- أعيديه إلى حجرته .

حملت الخادمة الصغير إلى حجرته ، وهو يصرخ ويبكى ، فى حين امتقع وجه المربية المسكينة فى شدة ، وهى تقول :

- سيدتى .. إننى أعتذر ، و ...

قاطعتها (سونيا) فى صرامة قاسية :

- لحساب من تعملين ؟

قالت المربية فى ارتياع :

- لحساب من ؟!.. لحسابك أنت بالطبع يا مسز (آرثر) .

انعقد حاجبا (سونيا) فى شدة ، وهى تقول :

- ما الذى تعلمينه من أسرارى ؟

شحب وجه المربية المسكينة ، حتى صار أشبه بوجوه الموتى ، وهى تقول :

- ماذا تقولين يا مسز (آثر) ؟.. إننى أجهل ما تتحدثين عنه .. لقد سمعتك بالمصادفة البحتة ، وأنت تتحدثين مع الصغير عن والده ، ولم أتعمّد ..

قاطعتها(سونيا) :

- بالمصادفة البحتة ؟!.. جواب سخيف يصعب تصديقه .. وخاصة مع امرأة مثلى ، لا تؤمن كثيرًا بالمصادفات .

هتفت المربية فى انهيار :

- إنها الحقيقة يا مسز (آثر) .. أقسم لك .

أومأت (سونيا) برأسها متفهمة ، وقالت :

- ربما كانت كذلك بالفعل .

ثم هزّت كتفيها ، مستطردة فى لامبالاة :



وبحركة مباغتة سريعة ، دفعت العربية نحو حوض السباحة ، فأطلقت هذه الأخيرة صرخة ذعر ..

- ولكن ما الداعي للمخاطرة .

هوى قلب العربية بين قدميها ، وهي تقول :

- ماذا تعنين يا مسز (آرثر) ؟

ارتسمت على شفتى (سونيا) ابتسامة مخيفة ، وهي تقول :

- لا عليك يا عزيزتى .. لا تقلقى نفسك بكل عبارة أنطقها .. ولكن أخبرينى .. ألم تعلنى سابقًا أنك كنت بطلة من أبطال السباحة ؟

قالت العربية فى دهشة بالغة :

- أبطال السباحة ؟!.. مستحيل أن أقول هذا يا مسز (آرثر) ؛ فأنا لا أعرف السباحة قط .

تألقت عينا (سونيا) ، وقالت :

- عظيم .

وبحركة مباغتة سريعة ، دفعت العربية نحو حوض السباحة ، فأطلقت هذه الأخيرة صرخة ذعر ، قبل أن تسقط فى الحوض ، وتغوص فى أعماقه لحظة ، ثم تبرز على السطح ، صارخة فى رعب :

- النجدة يا مسز (آرثر) .. أنا لا أعرف السباحة .. سأغرق حتمًا .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :

- حقًا !.. كم سيحزنني هذا ؟

وأشعلت سيجارتها فى هدوء، ووقفت تراقب مربية صغيرها، التى تصرخ مستنجدة، وتغوص وتطفو، حتى انهارت مقاومتها، وغاص جسدها للمرة الأخيرة فى حوض السباحة، فنفثت (سونيا) دخان سيجارتها، وقالت ساخرة :

- يا للمسكينة !

واتجهت فى هدوء عجيب إلى حجرة مكتبها، المطلّة على حوض السباحة، والتقطت سمّاعة الهاتف، وطلبت رقم دائرة الشرطة، ولم تكد تسمع محدّثها، حتى هتفت بصوت متباك :

- (فيليب) النجدة يا (فيليب) .. لقد غرقت (أنيتا) .. نعم .. مربية ابنى الصغير .. يبدو أنها تعثّرت وسقطت فى حوض السباحة، فلقيت حتفها غرقًا .. إنه مشهد بشع .. أسرع يا (فيليب) .. أسرع بالله عليك .

وأنهت المحادثة وهى تبتسم فى سخرية، مستطردة :

- معذرة يا عزيزتى (أنيتا) .. ولكن صدقينى .. لماذا المخاطرة ؟

كانت تسحب نفسًا عميقًا من سيجارتها، عندما اندفع إليها (تونى)، هاتفًا :

- سيّدتى .. لقد عثرت عليه .

برقت عينا (سونيا) فى شدة، وتبخّر من عقلها فى لحظة واحدة، كل ما يخص (أنيتا) المسكينة، وهى تهتف :

- عثرت عليه ؟!

أجابها فى انفعال :

- نعم يا سيّدتى .. لقد فقد وعيه فى أحد الشوارع الجانبية، وعثرت عليه واحدة من دوريات الشرطة، وكان مصابًا برصاصتين، واحدة فى ذراعه اليسرى، والأخرى فى فخذه اليمنى، وبه آثار تسمم واضحة، ولقد نقله الشرطيان على الفور إلى مستشفى (بروكلين)، حيث تم عمل غسيل معدة له، واستخرج الأطباء الرصاصتين، وهو يرقد الآن فى الحجرة رقم تسعة، تحت حراسة مشدّدة من رجال الشرطة، تمهيدًا لاستجوابه ومحاكمته .

أطفأت سيجارتها فى عصبية، وهى تقول :

- لن يجدوا وقتًا لهذا .

سألها (تونى) فى لهفة :

- بمَ تأمرين يا سيّدتى ؟

ضربت سطح مكتبها بقبضتها، وهى تقول فى حزم :

- لابد وأن يموت هذا الرجل .

ورفعت عينيها إلى (تونى) مستطردة فى حدة :

ـ الليلة .

ابتسم (تونى) ابتسامة واسعة ، وكأنما راق له الأمر ، وقال :

ـ سمعًا وطاعة يا سيدتى .

وغادر القصر لتنفيذ الأمر ، في نفس اللحظة التى وصل فيها رجال الشرطة ..

وكان من الواضح أنها ستكون ليلة طويلة ..

طويلة للغاية ..

* * *

عندما ضغط قائد الهليوكوبتر زرّ إطلاق النيران ، فى طرف عصا القيادة ، كان واثقًا تمام الثقة من أنه ـ كمحترف ـ لن يخطئ أبدًا إصابة الهدف ، خاصة وهو يطير على هذا الارتفاع المنخفض ، بمحاذاة (أدهم) تقريبًا ، وأجهزة التصويب الإليكترونية لديه تشير إلى أن رأس الهدف فى موضع التصويب تمامًا ..

ولكن للقدر دوره ..

وفى بعض الأحيان ، يروق للقدر أن يلعب دور البطولة ، فى أى موقف يختاره ، على مسرح الحياة ..

وهذا ما فعله ..

ففى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها الرجل زرّ الإطلاق ، كان (أدهم) يجذب عنان جواده جانبًا ، وينحرف به عن مساره الطبيعى ..

وطاشت الرصاصة ..

وفى مزيج من السخرية والشماتة ، قال (أكسيل) :

ـ أخطأت الهدف .

عقد الطيّار حاجبيه ، وقال فى حدة :

ـ لقد رأيت بنفسك كيف تحرّك فى اللحظة الأخيرة ، و ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ ما الذى يفعله بالضبط ؟

كان (أدهم) قد استدار نصف دورة كاملة بجواده ، وانطلق به فى آخر اتجاه يمكن أن يخطر لهم ..

نحو الهليوكوبتر مباشرة ..

وفى دهشة بالغة ، هتف الطيّار :

ـ إنه يهاجمنا .

قال (أكسيل) بذهول ، لا يخلو من نبرة مستنكرة :

ـ بجواد ؟!

ثم استدرك فى سرعة :

ـ أطلق النار يا رجل .. اسحقه سحقًا .

ولكن الطيّار جذب عصا القيادة بحركة غريزية ، عندما رأى (أدهم) ينطلق نحوه ، على مسافة مترين تقريبًا ، فارتفعت الهليوكوبتر بحركة حادة ، و (أكسيل) يصرخ :

ـ قلت لك : أطلق النار .

تجاهل الطيّار هذا الأمر تمامًا ، وهو يرتفع بالهليوكوبير أكثر وأكثر ، وكأنما يفرّ من شبح مخيف ..

لم يكن يدرى لماذا تفجّر الفزع فى أعماقه على هذا النحو المباغت ، بعد أن ظلّ يسخر من الأمر كله طوال الوقت ؟!..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه أنبأه بأن هذا الرجل ، الذى يندفع بجواده نحو طائرة هليوكوبتر مقاتلة ، بكل هذه الجرأة ، هو حتمًا رجل غير عادى ..

رجل من طراز خاص ..

ومخيف ..

وعلى الرغم من ارتفاع الهليوكوبتر ، صاح (أدهم) بجواده ، وهو يدعوه إلى القفز :

ـ هيّا يا صديقى ، ارتفع إلى أقصى ما يمكنك .

ووثب الجواد الأسود القوى ..

وثب كما لم يفعل من قبل ، وكأنما يطيع أوامر فارسه ، الذى يختلف عن كل من امتطوه من قبل ..

وأضاف (أدهم) وثبة أخرى ، عندما دفع جسده إلى أعلى ، متخليًا عن الجواد ، ومتشبثًا بالقائم السفلى للهليوكوبتر ..

وفى فزع شديد ، صرخ الطيّار :

ـ لقد أمسك بنا .

هتف (أكسيل) مشدوهًا :

ـ أمسك بنا ؟!.. فى هذا الارتفاع ؟!.. هل جننت يا رجل ؟

أدهشه أن أخذ الطيّار يرتجف على نحو عجيب ، وهو يردّد :

ـ أمسك بنا .. لقد شعرت به .

انعقد حاجبا (أكسيل) فى شدة ، ثم انتزع مسدسه ، وصوّبه إلى أرضية الهليوكوبتر ، وراح يُطلق النار فى عصبية ، فصاح به الطيّار :

ـ ماذا تفعل بالله عليك ؟

صاح (أكسيل) :

ـ أقتله .. لو أنه تعلّق بالهليوكوبتر .

شحب وجه الطيّار فى شدة ، وهو يقول :

ـ إنه .. إنه هنا .

اعتدل (أكسيل) فى حركة حادة ، وحدّق فى (أدهم) بذهول ، وهو يثب داخل الهليوكوبتر ، قائلًا فى سخرية :

- معذرة .. هل أزعجكما وجودى ؟

أدار (أكسيل) فوهة مسدسه نحو (أدهم) فى سرعة مدهشة، تناسب محترفًا مثله، ولكنه فوجئ بضربة سريعة من كف (أدهم)، تتجاوز ضعف سرعته على الأقل، تطيح بمسدسه، ثم شعر بلكمة كالقنبلة تنفجر فى فكه، مع صوت (أدهم) الساخر، وهو يقول :

- خطأ يا رجل .. ألم تنبهك أمك إلى خطورة العبث بالألعاب النارية ؟

دار رأس (أكسيل) فى شدة، فى حين راح جسد الطيّار يرتجف، وهو يقول متضرعًا :

- سأطيع كل أوامرك .

قال (أدهم) فى هدوء :

- دعنا نختبر هذا .. هيًا .. اهبط إلى ارتفاع متر واحد .

أطاعه الطيّار على الفور، فانحنى (أدهم) يلتقط مسدس (أكسيل)، وصوّبه إلى هذا الأخير، وهو يبتسم فى هدوء، قائلًا :

- اقفز أيها الزميل .

قال (أكسيل) فى غضب :

- إنها ليست نهاية المطاف .. سنلتقى مرة ثانية حتمًا .

دفعه (أدهم)، قائلًا :

- سيسعدنى هذا .

قفز (أكسيل) خارج الهليوكوبتر، التى تدور حول نفسها، على ارتفاع متر واحد من الأرض، فالتفت (أدهم) إلى الطيّار، وقال :

- دورك يا صديقى .

حلّ الطيّار حزام مقعده على الفور، وهو يقول :

- ولكن من السهل تعقب طائرة هليوكوبتر، فى سماء (لندن) .. لم يمكنك أن تذهب بعيدًا .

قال (أدهم) فى هدوء :

- أشكرك على النصيحة .. والآن اقفز .

وثب الطيّار خارج الهليوكوبتر، فاحتلّ (أدهم) مقعده فى سرعة، ولوّح بيديه، قائلًا :

- إلى اللقاء أيها الزملاء .. أتمنى لكم حظًا أفضل، فى المرات القادمة .

وختم عبارته بضحكة ساخرة عالية، وهو يرتفع بالهليوكوبتر، وينطلق بها نحو المدينة، فصاح (أكسيل) غاضبًا :

- سأعثر عليه، ولو كان هذا آخر ما أفعله، فى حياتى كلها .

أتاه على مقربة صوت (لانسلوت)، يقول فى عصبية :

- من الأفضل أن تفعل، وإلا خسرنا الكثير .

التفت (أكسيل) إلى (لانسلوت)، الذى تخلّص بالكاد من قيوده، وهو يستطرد فى حنق :

- هذا الرجل يعرف الكثير الآن، ووجوده على قيد الحياة يمثل لنا خطورة شديدة .

قال (أكسيل) في حدة :

- ولماذا أخبرته بهذا الكثير يا (لانسلوت) ؟

عقد (لانسلوت) حاجبيه، وقال :

- لقد حقنتنى بمصل الحقيقة .

هتف (أكسيل) :

- حقًا؟!.. لماذا لا تبدو عليك أعراضه إذن ؟

صاح به (لانسلوت) :

- أتظننى كاذبًا يا (أكسيل) ؟

صرخ (أكسيل) فى وجهه غاضبًا :

- بل أظنك لم تعد صلبًا كالأيام الخوالى يا سير (لانسلوت) .

صاح (لانسلوت) :

- وأنت لم تعد مهذبًا يا (ريتشارد) .

كادا يشتبكان فى مشاجرة كلامية طويلة، لولا أن استوقفهما الطيّار، قائلًا فى عصبية :

- معذرة أيها السيدان، ولكن هل ستكتفيان بالمشاجرة، وتتركان هذا الجاسوس يفرّ .

انتبها إلى سخافة ما يفعلانه، فتطلّع كل منهما إلى الآخر لحظة، ثم انتزع (أكسيل) من ثيابه جهاز اتصال صغير، وقال عبره :

- من (٦٠٧) إلى القيادة .. الهدف نجح فى الفرار، وسرق النسر الصغير، وهو يحمل الآن الكثير من الخلايا الرمادية .

كانت شفرة بسيطة، تشرح الموقف كله فى كلمات موجزة، أجاب عليها رئيس (أكسيل)، قائلًا :

- هذا يعنى أن العملية أصبحت أكثر خطورة .

قال (أكسيل) :

- لهذا أطلب تطوير العملية، ووضعها فى الخانة (أ)، مع علامتى زائد .

صمت رئيسه لحظة، ثم قال :

- هذا يعنى أنها عملية من الدرجة الأولى .

أجابه (أكسيل) فى حزم :

- هذا ما أقصده بالضبط .

صمت رئيسه لحظة أخرى، ثم أجاب :

ـ فليكن يا (ريتشارد) .. سأطلق صفارة الإنذار الكبرى ، ولننطلق جميعًا فى أعقاب الجاسوس .

وعندئذ ابتسم (لانسلوت) فى ظفر ، إذ كان هذا يعنى أن على (أدهم) أن يواجه أكبر وأضخم وأقوى أجهزة الأمن فى (انجلترا) مجتمعة ..

وربما يعنى هذا أنه سيواجه (انجلترا) كلها ..

وبلا هوادة .

* * *



٩ ـ الوحوش ..

انتفض جسد (منى) انتفاضة مباغتة ، وهى تستعيد وعيها دفعة واحدة ، بعد فترة طويلة من الغوص فى غيبوبة عميقة ..

ومع انتفاضتها ، فتحت عينيها عن آخرهما ، وحدقت فى المكان المحيط بها فى دهشة كبيرة ..

كانت داخل مايشبه مخزنًا قديمًا للغلال ، تفوح فيه رائحة القمح الطازج ، وأتربة الحقول المسمَّدة ، وأمامها يجلس رجل ضخم الجثة ، استقبلها بابتسامة صفراء بغيضة ، كشفت عن أسنانه القذرة غير المنتظمة ..

وكانت مقيَّدة إلى مقعد معدنى ثقيل ، وسط المخزن تمامًا ، وخلفها أصوات رجال يتحدثون ، أشار إليهم صاحب الأسنان القذرة ، قائلًا :

ـ لقد استيقظت .

سمعت وقع أقدام ثقيلة تقترب منها ، ثم برز أمامها (أنطونيو لويجى) ، صاحب ذلك المطعم الصغير ، الذى يتلقَّى المعلومات الواردة للمنظمة ، وتطلَّع إليها لحظة فى صمت ، ثم قال :



وكانت مقيدة إلى مقعد معدنى ثقيل ، وسط المخزن تمامًا ..

ـ كنت أظنك أكثر قوة ، ولكنك استغرقت ست ساعات كاملة ، للخروج من غيبوبتك .

ازدردت لعابها ؛ للسيطرة على أعصابها ، وقالت فى سخرية :

ـ ربَّما كنت أخشى الاستيقاظ، حتى لا أرى وجوهكم البغيضة .

لم يبد عليه أدنى اهتمام بعبارتها ، وهو يشعل سيجارته ، ويقول :

ـ لعلك تتساءلين : لماذا لم نقتلك على الفور ؟

قالت متهكمة :

ـ هذا السؤال لم يدر بخلدى قط .

تابع وكأنه لم يسمعها :

ـ الحقيقة أنك أثرت دهشتى بشدة ، بتلك المهارة التى تتمتعين بها ، وخبرتك الواضحة فى أساليب الخداع والقتال ، حتى أننى سألت نفسى : إلى أية جهة تنتمين بالتحديد ؟

قالت ساخرة :

ـ مادمت أهتم بك ، فأنا أنتمى حتمًا إلى جمعية الرفق بالحيوان .

تجاهل تعليقها مرة أخرى ، واستطرد :

- الشىء الوحيد المؤكد ، هو أنك تلقيت تدريبات عالية المستوى ، يفوق ما يمكن أن تتلقاه فتاة عادية ، من فتيات الشرطة ، كما أنك مصرية ، وهذا يعنى أنك تنتمين - على الأرجح - لجهاز أمنى دولى .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

- كالمخابرات المصرية مثلًا .

قالت بابتسامة ساخرة :

- هل ألهب كفىَّ بالتصفيق ، أم ألهث مبهورة ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

- لا هذا ولا ذاك .

رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة ، وهتفت :

- عظيم .. تقدّم لا بأس به .. إنك لم تتجاهل قولى هذه المرة .

رمقها بنظرة صارمة صامتة ، فتابعت ساخرة :

- هذا يبشر بالخير .. ربّما أمكنك ترديد اسمى فى المرة القادمة ، فتصبح أكثر شبهًا بالحيوانات المدرَّبة .

قال مساعده (تينو مارشيللو) فى برود :

- دعها تسخر ما شاء لها أيها الزعيم ، فستبكى وتصرخ طويلًا ، عندما يصل (مورتى) .

قالت (منى) :

- ومن (مورتى) هذا .. وحيد قرن آخر ؟!

أجابها (لويجى) فى هدوء :

- (ألدو مورتى) ؟.. لا .. إنه ليس وحيد قرن آخر ، بل هو أستاذ فى فن انتزاع المعلومات ، وخبير فى مهنته ، إلى الحد الذى جعلهم يقولون عنه : إنه قادر على إجبار التماثيل الأثرية على الإفصاح عن تاريخها كله .

أطلقت ضحكة ساخرة ، وقالت :

- لدينا فى (مصر) دعابة شبيهة بهذا .

مال (لويجى) نحوها مرة أخرى ، وقال :

- والآن يا عزيزتى ، ماذا تفضلين ؟.. هل تبلغيننى كل ما لديك الآن ، أم نترك عملية انتزاع المعلومات هذه لصديقنا الرقيق (مورتى) .

سألته (منى) :

- قل لى .. أهو وسيم (مورتى) هذا ؟

فجأة ، هوى (لويجى) على وجهها بصفعة قوية ، أعقبها بأخرى أكثر قوة ، قبل أن يصرخ فى وجهها :

- لقد سئمت هذا .. إنك تسخرين طوال الوقت ؛ لإخفاء الخوف والرعب ، اللذين انبعثا فى أعماقك ، وهذا أسلوب معروف ، ولكننى أمقته كثيرًا .

اعتدلت (منى) ، وتركت خيط دم رفيع يسيل من طرف شفتيها ، وهى تقول :

- يا لك من رجل عصرى مهذب !.. هل تشعر بالقوة والثقة ، عندما تضرب امرأة ؟

قال فى صرامة :

- بل أشعر بهما أكثر عندما أخنقها .

قالت ساخرة :

- ألا تستعين بـ (مورتى) هذا ؛ ليخنقها بدلًا منك ؟

عقد حاجبيه لحظات ، ثم قال :

- أنا أيضًا أجيد بعض الأشياء .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

- وربّما استعرضتها معك ، إذا ما فشلت مفاوضاتنا .

سألته :

- أية مفاوضات ؟

جذب مقعدًا ، وجلس أمامها مباشرة ، وهو يجيب :

- محاولات إقناعك بالاعتراف بكل ما لديك .. إنه أمر بسيط للغاية ، ولن يجشمك مشاق التعامل مع (مورتى) الجزّار .. هذا ما نطلقه عليه .. ثم إننا سنتعاون فى هذا الشأن .. أنت تتحدثين ، وأنا أستمع ، و (مارشيللو) يسجّل اعترافاتك .. هل رأيت ؟.. لن نضع المهمة كلها على عاتقك .

قالت فى سخرية :

- يا لشعوركم المرهف !

تراجع فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

- أما لو واصلت سخريتك وعنادك ، فلن أنتظر وصول (مورتى) ، بل سأستعرض مواهبى على الفور .

قالت بسرعة :

- إننى أعترف بها .. لك موهبة فذّة ، فى إثارة اشمئزاز وازدراء الآخرين .

انعقد حاجباه فى شدة هذه المرة ، وهو يقول :

- إذن فهذا يعنى أنك ترفضين الاعتراف المباشر .

أطلقت ضحكة ساخرة أخرى ، وقالت :

- سأكون أغبى امرأة فى العالم ، لو اعترفت بهذه البساطة .. أنت وأنا ندرك ما يعنيه اعترافى ، فبمجرّد حصولك على ما لدى ، تصبح حياتى عديمة القيمة ، ولن تجد سببًا منطقيًا للإبقاء عليها .

هزّ كتفيه ، وقال :

- الموت السريع أفضل من الحياة مع عذاب مستمر .

قالت بسرعة :

- سأحتمل العذاب .

مطّ شفتيه ، وقال :

- هذا ما تتصوَّرينه .

ثم التفت إلى (مارشيللو) ، مستطردًا :

- احضر الموقد .

برقت عينا (مارشيللو) فى جذل ، وهبَّ من مقعده ، قائلاً :

- سمعًا وطاعة أيها الزعيم .

بدأ القلق يتسلل إلى أعماقها ، و (لويجى) يقول :

- قبل أن تتساءلى عن مواهبى ، التى أتحدَّث عنها ، ينبغى أن تعلمى أن الشىء الذى أجيده ، فى الدنيا كلها ، هو الطهى .

قالت :

- لهذا افتتحت مطعمًا .

قال فى حماس :

- تمامًا .

ثم استطرد فى اهتمام بالغ :

- وأفضل ما يمكننى طهيه هو أقراص (الهامبورجر) الأمريكى .. إنها الوجبة التى منحت مطعمى شهرته .

ومال نحوها ، متابعًا فى حماس حقيقى :

- هل تعلمين كيف تصنعين أفضل أقراص (هامبورجر) ؟

تطلَّعت إليه فى صمت ، والقلق فى أعماقها يتضاعف ويتضاعف ، وهى تتساءل عما يعنيه بحديثه هذا ، وهو يقول ، دون أن ينتظر منها جوابًا ، أو حتى تساؤلاً حائرًا :

- فى البداية ، نصنع الأقراص نفسها ، ولا تسألينى كيف ، فالسر كله يكمن فى جودة الخلطة المستخدمة ، وهى سر الصنعة ، ولا يمكننى أن أخبرك أى شىء عنه .

قالت متهكمة :

- ولا حتى نوع الكلاب المستخدمة ؟!

لم يبد عليه حتى أنه سمعها ، وهو يتابع بشغف عجيب :

- وبعد هذا نأتى بلوح من الصاج ، ونرشه بقليل من الزيت ، ونوقد النار تحته ، حتى يغلى الزيت تمامًا ، و ...

صمت لحظة ، ثم قال فى تلذذ :

- نضع أقراص (الهامبورجر) .

سرت فى جسدها قشعريرة عجيبة ، عندما بلغ هذه النقطة ، وتحوَّلت هذه القشعريرة إلى ارتجافة خفية ، عندما عاد (مارشيللو) حاملاً الموقد ، وهو يقول فى جذل :

- ها هو ذا .

وضع (لويجى) الموقد أمامها ، وفوقه لوح الصاج ، ثم أشعله ، وراح يرش الزيت فى مهارة فوق اللوح ، وهو يقول :

- المهارة تكمن فى وضع الأقراص لفترة مناسبة ، بحيث تصبح ناضجة تمامًا ، دون أن تحترق أطرافها .

وفجأة ، انقض عليها الضخم ، صاحب الأسنان الصفراء ، وحلّ قيود معصميها ، ثم أمسك يديها فى قوة ، وهو يطلق ضحكة مقيتة ، و (لويجى) يستطرد فى صرامة :

- كما سنفعل بيدك الجميلتين .

شهقت على الرغم منها فى ذعر ، ولكنه استطرد فى قسوة :

- راقبى الزيت جيدًا يا فتاتى ، فما إن يبدأ فى الغليان ، حتى نشوى راحتيك ، حتى تفوح منهما رائحة الشواء الشهى .. استعدى .

كادت تصرخ فى رعب ، وعيناها تحدقان فى الزيت ، والجميع من حولها يحملون ابتسامة واحدة مخيفة .. ابتسامة الوحوش ..

★ ★ ★

امتقع وجه المفتش (جونز) فى شدة ، وهو يتطلع إلى (تونى) فى استنكار عصبى ، وارتجفت أصابعه وهو يحاول إشعال سيجارته ، ونفث دخانها فى توتر بالغ ، وهو يقول :

- مستر (بورسالينو) .. ما هذا الذى تطلبه منى هذه المرة ؟

أجابه (تونى) فى هدوء :

- إنه لا يختلف كثيرًا عما أطلبه منك فى كل مرة يا عزيزى (جونز) ، مع فارق واحد ، وهو أنك ستحصل على مكافأة مضاعفة هذه المرة .

هتف (جونز) فى عصبية :

- هل تمزح ؟.. ألا تدرك خطورة الموقف ؟!.. إنك تطالبنى بالذهاب إلى المستشفى ، ودخول حجرة ذلك الشاب ، متجاوزًا طاقم الحراسة ، وقتله ، ثم الخروج بكل هدوء !!.. ألا تظن أننى أول من ستتجه إليه أصابع الاتهام ، فى هذه الحالة ؟

هزّ (تونى) كتفيه ، وقال فى برود :

- ولماذا تتجه إليك ؟

صرخ (جونز) :

- لماذا ؟!.. يا له من سؤال !

ثم خفض صوته بسرعة ، مستطردًا فى انفعال :

- سأكون آخر من رآه حيًا يا رجل .. ألا تفهم هذا ؟

ابتسم (تونى) ، وقال :

ـ لا تجعل هذا يقلقك .. لقد أعددنا الأمر بكل دقة .. إنك ستذهب لرؤية هذا الشاب، بصفتك أحد رجال الشرطة، الذين قاتلوه مباشرة، وعندما تصبح وحدك فى حجرته، ستحقنه فى أوردته مباشرة، بكمية من الهواء تكفى لقتل فيل، وفى هذه الحالة يكون سبب الوفاة الطبى هو سكتة قلبية مباغتة .. من سيشك فى أنها مفتعلة، مع كل إصاباته هذه .

ارتجف (جونز)، وهو ينفث سيجارته، قائلًا :

ـ وماذا لو رآنى أحدهم ؟

قال (تونى) فى هدوء :

ـ ومن يراك فى حجرة مغلقة ؟

مال (جونز) نحوه، وقال فى عصبية :

ـ لو أن الأمر بهذه البساطة، فلِمَ لا تقتله أنت ؟

عقد (تونى) حاجبيه، وقال :

ـ لقد حاولت .

نظر إليه (جونز) فى دهشة، فتابع بسرعة :

ـ ولكننى وجدت حراسة مشددة على حجرته، فقلت لنفسى : (جونز) وحده يمكنه تجاوز نطاق الحراسة هذا ؛ لأنه رجل شرطة .

تراجع (جونز)، وراح ينفث دخان سيجارته لحظات فى عصبية، ثم سأل فى توتر :

ـ وكم المكافأة هذه المرة ؟

أشار (تونى) بأصابع يده كلها، وهو يبتسم، قائلًا :

ـ خمسة آلاف دولار .

تطلّع إليه (جونز) لحظة، وقال :

ـ إنها لا تكفى .

عقد (تونى) حاجبيه فى شدة، وهو يقول :

ـ لقد أصبحت جشعًا، فى الآونة الأخيرة يا (جونز) .

قال (جونز) فى عصبية :

ـ إننى أخاطر بمستقبلى كله هذه المرة .

تطلّع إليه (تونى) طويلًا فى صمت، ثم قال :

ـ حسن .. كم تطلب ؟

أجابه بسرعة، وكأنما أعدّ الجواب مسبقًا :

ـ عشرة آلاف دولار .

ازداد انعقاد حاجبى (تونى) فى شدة، وقال :

ـ كان ينبغى أن أرفض هذا المبلغ المبالغ يا (جونز)، ولكن من حسن حظك أننا نولى هذه العملية أهمية بالغة .. فليكن .. ستحصل على ما طلبت .

تألّقت عينا (جونز) فى ظفر، وهو ينهض قائلًا :

- وأنا سأنفذ العملية على الفور يا مستر (بورسالينو) .

واندفع مغادرًا المكان ، وقد استحال تردده واستنكاره إلى حماس شديد ، فمطّ (تونى) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

- يا للحقارة !

ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وطلب رقم (سونيا) الخاص ، ولم يكد يسمع صوتها ، حتى قال :

- (جونز) سيؤدى المهمة ياسيّدتى .. الآن على الفور .. وسيحصل على نفس المبلغ المعتاد .. عشرين ألف دولار .. بالتأكيد يا سيّدتى .. سأخبرك فور انتهاء التنفيذ .

وفى نفس اللحظة ، التى أنهى فيها المحادثة ، كان(جونز) ينطلق بسيارته نحو المستشفى ، وهو يتحدّث إلى نفسه فى حماس ، قائلًا :

- يا للحظ الحسن !.. إنها صفقة رابحة بكل المقاييس .. سأقتل ذلك الوغد ، الذى حطم أنفى فى الإدارة ، وأحصل على عشرة آلاف دولار أيضًا .

التقط نفسًا عميقًا ، وراح يطلق صفيرًا منغومًا من بين شفتيه ، وقد زال توتره كله ، مع حماسه الجديد ، حتى بلغ المستشفى ، فأوقف سيارته فى هدوء ، وصعد إلى الحجرة رقم تسعة ، وابتسم فى وجه طاقم الحراسة الواقف أمامها ، وهو يقول فى مرح :

- كيف حالكم أيها الرجال ؟.. هل يسير كل شىء على ما يرام .؟

أجابوه بابتسامة مماثلة :

- نعم أيها المفتش .. لم نواجه أية متاعب حتى الآن .

أشار إلى الحجرة ، وهو يسأل :

- هل استعاد الرجل وعيه ؟

هزّ أحدهم رأسه نفيًا ، وقال :

- لا .. ليس بعد .

أومأ برأسه متفهمًا ، ثم قال بلهجة توحى بالاهتمام :

- أهو الرجل نفسه ، الذى هاجمنا فى الإدارة .

قال أحدهم فى حذر :

- ومن يكون سواه ؟

قال (جونز) فى حدة :

- من يكون سواه ؟!.. يا له من سؤال !.. أهذه هى القاعدة الوحيدة ، التى بنيتم عليها قضيتكم ؟!.. ألم يتحقق أى شخص من هويته ؟

ارتبك رجال الحراسة ، وقال أحدهم :
ـ عندما يستعيد وعيه سنـ...
قاطعه (جونز) :
ـ عندما يستعيد وعيه ؟!.. ولمَ لا يحدث هذا الآن ؟
ثم اتجه إلى الحجرة ، ودفع بابها ، مستطردًا :
ـ نظرة واحدة إلى وجهه ، تكفينى لحسم الأمر .
اتجه أحدهم إليه ، ولكنه استوقفه بإشارة حاسمة ، وقال فى لهجة آمرة صارمة :
ـ أستطيع حماية نفسى .
ودلف إلى الحجرة فى سرعة ، قبل أن يعترض أحدهم ، وأغلق بابها خلفه ، ثم استند إليه يلهث فى شدة ، قبل أن يسيطر على أنفاسه ، ويخرج المحقن الفارغ من جيبه ، مغمغمًا :
ـ أفضل ما أفعله ، هو أن أنهى هذه العملية بسرعة .
واتجه إلى حيث يرقد (حسام) ، وسط أجهزة طبية عديدة ، وألقى نظرة على وجهه ، وهو يتمتم :
ـ لم تكن جنفسى ذرة واحدة من الشك فى هويتك .
ثم كشف ذراع (حسام) ، وملأ المحقن الفارغ بالهواء ، ثم دسّه فى عروقه دون تردد ..
وأصبح الموت قاب قوسين ..
أو أدنى ..

★ ★ ★



ثم كشف ذراع (حسام) ، وملأ المحقن الفارغ بالهواء ، ثم دسّه فى عروقه دون تردّد ..

صحيح أن (أدهم) أصبح يمتلك طائرة هليوكوبتر الآن ، وهو ينطلق نحو (لندن) ، إلا أنه كان يعلم أن الطيّار محق تمامًا فيما قاله ..

من السهل تعقّبه فى طائرة هليوكوبتر ..

ولهذا لم يبلغ (أدهم) قلب العاصمة بطائرته ، وإنما هبط بها على مشارف المدينة ، وسط دهشة المارة البالغة ، وغادرها وهو يهندم ثيابه ، ويستعيد أناقته ، وابتسم فى وجوه الجميع .. قائلاً :

- هبوط اضطرارى .. تقبّلوا اعتذارى .

تبادل المارة نظرات حائرة ، فى حين راح شرطى المرور يشق طريقه بينهم فى حزم ، وهو يقول :

- افسحوا الطريق للشرطة .. لقد ارتكب هذا الرجل مخالفات بالجملة .

وأخرج دفتر مخالفاته ، وهو يسجّل بصوت مسموع :

- الهبوط وسط الطريق دون ترخيص ، وتجاوز إشارة حمراء ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يتلفّت حوله ، قبل أنْ يهتف :

- أين قائد الهليوكوبتر ؟

أشار المارة إلى طريق جانبى ، وقال بعضهم :

- لقد انصرف ، وترك بطاقته .

التقط الشرطى البطاقة التى تركها (أدهم) ، وقرأ عليها اسم (لانسلوت) ..

سير (لانسلوت) ..

وفى اللحظة نفسها ، كان (أدهم) يقطع الطريق الجانبى فى خطوات واسعة ، ثم انحرف منه إلى طريق رئيسى ، وعبره إلى آخر فرعى ، وراح يتنقّل من طريق إلى آخر ، حتى بلغ أحد الطرق الرئيسية الواسعة ، فاستوقف واحدة من سيارات الأجرة ، وقال لقائدها :

- مطار (هيثرو) .

انطلقت السيارة إلى المطار ، فى حين استرخى هو فى مقعدها الخلفى ، يسترجع الموقف كله ..

لقد حصل على ما يكفيه من معلومات ، ويمكنه تنميتها بالبحث والتحرّى فى (نيويورك) ، كما يمكنه الاتصال برجال مكتب المخابرات المصرية هناك ، ليقوموا بعمل التحريات اللازمة ، ويتوصّلوا إلى بعض النتائج ، قبل حتى أن يصل إلى هناك ..

ولكن ماذا عن (لانسلوت) ؟..

قفز السؤال إلى ذهنه بغتة ، فانعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يعيد دراسة الموقف كله من جديد ..

لقد انتزع المعلومات كلها من (لانسلوت)، ثم تركه على قيد الحياة، سليمًا معافى، واستعد للرحيل ..

وهذا لا يصلح قط ..

إنه يعرف طراز الرجال من أمثال (لانسلوت) ..

إنهم أشبه بالنمور ..

قد تبدو هادئة وديعة، لو استأنسها المرء منذ حداثتها، بل قد تعتاد تناول الفاكهة والخضراوات ..

إلا إذا ذاقت طعم الدم ..

مذاق الدم وحده يحيلها إلى وحوش مفترسة، لا تعرف الرحمة، ولا يهنأ لها بال، إلا بإراقة المزيد من الدماء ..

وهزيمة (لانسلوت)، رجل المخابرات البريطانى السابق، وعميل منظمة (سناك) الحالى، لها حتمًا مذاق الدم فى حلقه ..

إنها ستثير جنونه ووحشيته، وتدفعه لارتكاب أفعال حمقاء وعنيفة ..

أو تدفعه لإبلاغ (سونيا) بكل ما حدث ..

وهذا يصنع فارقًا مخيفًا ..

ستعلم (سونيا) أنه خلفها، وأنه عرف الكثير من أسرارها، وعلم صلتها بزعامة المنظمة، و..

ولن تجلس فى انتظاره .

ستختفى بغتة، كما فعلت من قبل ..

وستحمل معها ابنه ..

ابنهما ..

الابن، الذى تتخذ منه سلاحًا للضغط عليه وهزيمته ..

ومع اختفاء (سونيا)، ستصبح كل المعلومات التى لديه عديمة القيمة ..

« توقف .. » .

ألقى ذلك الأمر إلى سائق السيارة فى حزم شديد، جعل قدم الرجل تضغط فرامل السيارة على نحو غريزى، قبل أن يلتفت إليه، ويقول فى دهشة :

ـ ولكننا لم نصل إلى المطار بعد يا سيدى .

ناوله (أدهم) أجرًا مضاعفًا، وهو يقول :

ـ لا بأس .. سأهبط هنا .

هتف الرجل فى حماس، عندما رأى النقود :

ـ هذا حقك يا سيدى .. فلتهبط حيثما يحلو لك .

غادر (أدهم) السيارة، واتجه فى خطوات سريعة إلى أقرب هاتف عمومى، وطلب رقم مكتب المخابرات فى (لندن)، ولم يكد يسمع صوت محدثه، حتى قال :

ـ أنا (ن ـ ١) .

هتف صاحب الصوت :

- (أدهم) .. أهلًا بك يا رجل .. كيف حالك ؟

قال (أدهم) فى سرعة :

- فى خير حال .. اسمعنى جيدًا ، فليست لدى دقيقة واحدة أضيعها .. لقد أنهيت الجزء الأكبر من المهمة ، ولكن هناك بوق ينبغى إسكاته أولًا ، وإلا أفسد الحفل الموسيقى كله ، وأعتقد أننى سأبقى حتى أخرسه ، أما بالنسبة لـ (منى) و (حسام) ، فأريد منهما أن ينتظرانى فى المكان المتفق عليه فى (نيويورك) ، وهذا يعنى ضرورة أن تسافر (منى) إلى هناك ، فى طائرة الثانية ظهرًا ، و ...

قاطعه زميله فى تردد :

- لست أظن هذا ممكنًا يا (أدهم) .

قفز قلق شديد إلى أعماق (أدهم) ، وهو يقبض على سمّاعة الهاتف فى قوة ، ويقول :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجابه زميله :

- بالنسبة إليهما ، لم تسر الأمور على ما يرام .

كرّر (أدهم) فى توتر :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجابه زميله فى أسى :

- شرطة (نيويورك) ألقت القبض على (حسام) ، ولكنه هرب منهم ، محطمًا نصف المبنى تقريبًا ، وأصابته بعض رصاصاتهم ، ويبدو أن أحدهم حاول قتله بالسم ، وفقد وعيه فى أحد شوارع (نيويورك) ، فعثرت عليه دورية شرطة ، وهو يرقد الآن فى الحجرة رقم تسعة ، فى مستشفى (بروكلين) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى توتر أكثر :

- وماذا عن (منى) ؟

صمت الرجل لحظة ، ثم أجاب فى تردد :

- لقد .. لقد اختفت .

كادت أصابع (أدهم) تعتصر سمّاعة الهاتف ، وهو يقول فى غضب :

- اختفت ؟!.. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

أجابه الرجل :

- لقد تطوّرت الأمور ، بينها وبين (لويجى) ، واتضح أنه يعمل لحساب (المافيا) ، وراحوا يطاردون (منى) فى قلب (روما) ، وتسببوا فى مصرع الملحق العسكرى هناك ، ثم ظفروا بها ، ولا ندرى شيئًا عنها .

تفجّر بركان من غضب هادر ، فى قلب (أدهم) ، وزميله يتابع :

- ولكننا نقوم بتحرياتنا ، وسنعثر عليها بإذن الله ، حتى لو كانوا قد تخلصوا منها ، أو ...

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- لو أنهم مسّوا شعرة واحدة منها ، لن يجدوا شبرًا واحدًا فى الأرض كلها ، يمكنهم الاحتماء فيه منّى .

قال زميله فى قلق :

- (أدهم) .. إنها ليست عملية انتقامية .. لا تنس أن ..

قاطعه (أدهم) مرة أخرى فى حزم مخيف :

- إلى اللقاء يا صديقى .

صاح الرجل :

- (أدهم) .. لا تتهوّر يا رجل ، ولا ..

ولكن (أدهم) أنهى المحادثة ، وكل ذرة فى جسده تتفجّر بالقلق والغضب والثورة ، واستدار يغادر كابينة الهاتف ، عندما رأى فجأة مسدسًا مصوّبًا إلى رأسه ، وخلفه (أكسيل) يقول :

- يا للمصادفة !.. لقد التقينا مرة أخرى يا رجل .

رفع (أدهم) قبضته بسرعة ، ليلكم (أكسيل) ، ولكن قبضته توقّفت فى الهواء ، وحاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يدير عينيه فى ذلك المشهد المبهر أمامه .. لقد كانت كابينة الهاتف محاطة بجيش من رجال الشرطة ..

أكثر من ثلاثين رجلًا ، يصوبون أسلحتهم إلى هدف واحد ، فى تحفز واضح ، وأصابعهم متأهّبة لضغط الزناد ، عند أوّل حركة مريبة منه ..

وفى سخرية شامتة ، قال (أكسيل) :

- هيّا .. اعترف يا رجل .. لقد خسرت المعركة .

ولم يعلّق (أدهم) على عبارته ، ولكن المشهد الماثل أمامه كان يوحى بأن (أكسيل) على حق ..

لقد خسر (أدهم) هذه المعركة ..

وبكل وضوح .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير

(الضربة القاصمة)